مجلة جامعة البعث

سلسلة الآداب و العلوم الانسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 43 . العدد 27

1442 هـ - 2021 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. ناصر سعد الدين	**رئيس هيئة التحرير**
أ. د. هايل الطالب	**رئيس التحرير**

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

د. محمد هلال	**عضو هيئة التحرير**
د. فهد شريباتي	**عضو هيئة التحرير**
د. معن سلامة	**عضو هيئة التحرير**
د. جمال العلي	**عضو هيئة التحرير**
د. عباد كاسوحة	**عضو هيئة التحرير**
د. محمود عامر	**عضو هيئة التحرير**
د. أحمد الحسن	**عضو هيئة التحرير**
د. سونيا عطية	**عضو هيئة التحرير**
د. ريم ديب	**عضو هيئة التحرير**
د. حسن مشرقي	**عضو هيئة التحرير**
د. هيثم حسن	**عضو هيئة التحرير**
د. نزار عبشي	**عضو هيئة التحرير**

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

قيمة العدد الواحد : 100 ل.س داخل القطر العربي السوري

25 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

قيمة الاشتراك السنوي : 1000 ل.س للعموم

500 ل.س لأعضاء الهيئة التدريسية والطلاب

250 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

توجه الطلبات الخاصة بالاشتراك في المجلة إلى العنوان المبين أعلاه.

يرسل المبلغ المطلوب من خارج القطر بالدولارات الأمريكية بموجب شيكات باسم جامعة البعث.

تضاف نسبة 50% إذا كان الاشتراك أكثر من نسخة.

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. **دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
تجليات الراوي العالم ووجهة النظر في رواية	عبد الله اليونس سمير معلوف د. عصام الكوسى	48-11
دراسة مدى ملاءمة منهاج "إدراج الأدب في الحوار" لحاجات طلاب السنة الثانية في كلية الآداب في جامعة تشرين	باسكال سعد الله إبراهيم أ .د .فؤاد خوري	78- 37
أثر الفعل المبني للمجهول في أسلوب الشرط، وتأثره به	هبـــــــة الأقـــرع أ. د. عبد الفتاح محمد	130-79
تجليات الراوي العالم ووجهة النظر في رواية	صفاء المحمود د.م. أحمد سيف الدين	168-131

القِياسُ النَّحْويُّ عندَ المَرزُوقِي تـ 421هـ

طالب دكتوراه: عبد الله اليونس

لغة عربية – كلية الآداب – جامعة البعث

الدكتور المشرف: سمير معلوف + د. عصام الكوسى

ملخَّص البحث

وضعَ علماءُ النحو أُسساً ثابتةً وقواعدَ صارمةً تضبطُ أجزاء هذا العلم وفروعَه، سمّوها أصولَ النحو، وهي مستقاةٌ من مادته التي هي اللسانُ العربي الفصيح، فكان أولَ أصولهم (السماعُ) الصحيحُ الثابت ممن يُوثَق بكلامهم، كما وضعوا له أصولاً تخضعُ لمنطق العقل البشري الذي يعقدُ الموازنة بين الأمور المتشابهة ويقيسُ الأشياء بما يماثلها، فكان الأصلُ الثاني من أصول النحو وهو (القياس).

يسعى هذا البحثُ إلى بيان مدى أهمية القياس في بناء الأحكام النحوية التي بثَّها المرزوقي (تـ421هـ) في مؤلفاته، وتوضيح صور القياس التي جاءَت عنده، وبيان آراء العلماء فيها ما أمكن ذلك.

الكلمات المفتاحية: القياس، النحوي، المرزوقي.

Research Summary

The grammarians set firm foundations and strict rules that control the parts and branches of this science, called them the principles of grammar, which are derived from its material, which is the eloquent Arabic tongue.
The first principle was true and consistent hearing of those whose words were trusted.
And they also placed principles that are subject to the logic of the human mind, which makes a balance between similar matters and measures things with similar ones. Therefore, the second principle of grammar was (analogy).

This research seeks to show the extent of the importance of in constructing grammatical rulings that were mentioned by Al-Marzouki (d. 421 AH) in his writings, and to clarify the forms of analogy that were mentioned in his books, and to clarify the opinions of scholars in them whenever possible.

Keywords: analogy, grammar, Marzouki

مقدِّمة:

تقتَضي نشأةُ العلومِ في بداياتِها وحتَّى نضوجِها وتتطوُّرِها أن تخضعَ لطبيعةِ العقل والتفكيرِ الإنساني الذي ينحو نحوَ الترتيبِ والتبويب، وفصلِ قضايا العلمِ بينَ كلِّيَّاتٍ وجُزئيَّات، فنجد أنَّ لكلِّ علمٍ أصلاً يتمُّ بعدَ استقرار مصطلحاتِه ونضوجِه، فتبحثُ الأصولُ في فلسفة هذا العلم وأُسُسِه ونظمِ قواعِدِه.

وبيَّن الدكتور تمَّام حسَّان أنَّ نشأة هذه الأصول التي تضبطُ العلومَ وتحدِّدُ مسارها ليست حكراً على علمٍ دونَ علمٍ، أو قومٍ دونَ قوم حيث قال: "إنَّ اعتمادَ الثقافةِ العربية على النصوصِ في أوَّلِ أمرها ما كان ليحرمَها نعمةَ التفكير المنطقي الذي يتطلَّبُه الاجتهاد، ولكنَّ هذا المنطقَ الطبيعي لم يكن منطقَ أرسطو، وإنما كان نتاجَ تكوينِ العقل الإنساني الذي منحَه اللهُ للعرب واليونان وسائر الأمم والشعوب، ويبدو ذلك في جهد الأصوليين من الفقهاء استدلالاً وقياساً وتعليلاً ودلالة ألفاظ"[1]، وكان تقليد علماء اللغة والنحو لعلماء الفقه نتيجةً طبيعية، فقد ساروا على منوالهم وكان لا بدَّ لهم مع تقدم العلوم العربية وتطورها منذ نشأتها وإعادة النظر فيها مع توالي العلماء الدارسين لها من وضع (علم أصول النحو)، وإن كان وضع هذه الأصول قد تأخر قرنين أو ثلاثة قرون عن وضع علم النحو، وقد صرَّح ابن جني بتأثر أصول النحو بأصول الفقه حيث قال: "وذلك أنَّا لم نرَ أحداً من علماء البلدين تعرَّض لعملِ أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه، فأمَّا كتاب أصول أبي بكر فلم يُلمْ بما نحن عليه إلا حرفاً أو حرفين في أوله، وقد نعلق عليه به"[2].

[1] الأصول: دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو – فقه اللغة – البلاغة): د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة –مصر، 2000م، ص49.

[2] الخصائص: ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط2، ص1/2.

أهميةُ البحث:

تأتي أهميةُ البحث من دراسة القياس النحوي عند عالمٍ من علماء النحو الذين لم ينالوا نصيبَهم من الدراسة في مضمار النحو العربي، فالقياسُ من أهم الأدوات التي يمتلكها النحوي، فهو يكشفُ عن قدرة العالم في تعليلِ الأحكام النحوية، وتفسيرِ ظواهر اللغة من خلال عقد الموازنة بين المتشابهات أو المتناقضات، وقياس الفروع على الأصول للوصول إلى الأحكام النحوية، وقد كان المرزوقي ينثرُ أقيستَه النحوية خلال مؤلفاتِه المتعددة من شروحٍ للشعر أو للفصيح أو لقضايا اللغة.

منهجُ البحث:

يتبع البحث في تقديمه للقياس النحوي عند المرزوقي المنهجَ الوصفي الذي لا يخلو من التقويم، وقد التزم البحث في أثناء العرض بخطواتٍ، منها تعريفُ مصطلح البحث تعريفاً إجرائياً، وتخريجُ الأبيات موضع الشاهد، وعرض هذه الأقيسة على آراء العلماء ما أمكن ذلك.

حدودُ البحث:

يدرسُ البحث القياس في المسائل النحوية التي عرضها المؤلف في مصنفاته، فنطاقُ البحث الأول يشمل مؤلفات المرزوقي المطبوعة والمخطوطة وهي (الأزمنة والأمكنة، وشرح الفصيح، وأمالي المرزوقي، وشرح ديوان الحماسة، وشرح مشكلات ديوان أبي تمام، وشرح المفضليات "خ")، أما نطاق البحث الثاني فيشمل الكتب النحوية ذات الصلة بمسائل القياس المدروسة.

هدفُ البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن مكانة المرزوقي النحوية من خلال عرض أفكاره وكيفية معالجته للمسائل النحوية معتمداً القياس النحوي، من خلال عرض صور القياس عنده وما ينجمُ عنها من تعليلات.

التعريفُ بالمرزوقي:

هو أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصبهاني[1]، من أعلام القرنين الرابع والخامس الهجريين، نشأ في أصبهان وترعرع فيها[2]، ومنها جاءت نسبته (الأصبهاني).

شهدت له كتب التراجم بتفوقه العلمي وعلو منزلته وثقافته الواسعة، فقد قال عنه ياقوت الحموي: "أبو علي، من أصبهان، كان غايةً في الذكاء والفطنة وحسنِ التصنيف وإقامةِ الحجج وحسن الاختيار، وتصانيفه لا مزيد عليها في الجودة"[3].

وقال عنه القفطي: "أحدُ علماء وقته في الأدب والنحو، أخذ الناس عنه، واستفادوا منه وحثُّوا إليه آباط الرحال، وكان الحجةَ في وقته، وصنف التصانيف الجليلة في علم العربية"[4].

أطبقت كتبُ التراجم على أن وفاته كانت في ذي الحجة سنةَ إحدى وعشرين وأربعمائة[5]، ثم أغفلت مكان هذه الوفاة، ولم تتطرق إلى مولده، وذكر الإمام الذهبي أنه "قارب تسعين سنة"[6]. فعلى هذا كانت ولادته نحو 331هـ، وهو أمر قريبٌ من الاحتمال.

مؤلفاته:

1- شرح ديوان الحماسة، وهو أهمّ مؤلفاته، 2- الأزمنة والأمكنة، 3- أمالي المرزوقي، 4- شرح المفضليات وما زال مخطوطاً، 5- شرح الفصيح، 6- شرح مشكلات ديوان أبي تمام، 7- شرح أشعار هذيل وهو مفقود. 8- كتاب شرح النحو وهو مفقود ايضاً.

---

[1] معجم الأدباء: ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، 2/506.إنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1424، 1/141. سير أعلام النبلاء: الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985، 17/475.

[2] معجم الأدباء: ياقوت الحموي، ص 2/506،

[3] المصدر نفسه.

[4] إنباه الرواة: 1/141.

[5] معجم الأدباء: ياقوت الحموي، 2/506 2/506.إنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي1/141. سير أعلام النبلاء: الذهبي، 17/475.

[6] سير أعلام النبلاء: الذهبي، 17/476.

أولاً: أصول النحو:

والأصلُ في اللغة: "أَسفل كُلِّ شَيْءٍ وَجَمْعُهُ أُصُول لَا يُكَسَّر عَلَى غَيْرِ ذلك"[1]، وهو "ما يُبتَنَى عليه غيرُه بأن يكونَ مادةً له حقيقة، كالطين أصلُ الكوز، أو بحسب النظر العامي، كالحقيقة يقال لها أصل المجاز"[2]، فهذه التعريفات اللغوية تُحيل إلى معنى (الأساس) و(القاعدة) التي يبنى عليها ويرتفع فوقها ما هو منها.

أمَّا أصولُ النحو فقد عرَّفها أبو البركات الأنباري بقوله: "أصولُ النحو: أدلَّةُ النحو التي تفرَّعَت منها فروعُه وفصولُه، كما أنَّ أصولَ الفقه أدلةُ الفقه التي تنوَّعت عنها جملتُه وتفصيلُه، وفائدته التعويل في إثبات الحكمِ على الحجَّة والتعليل والارتفاع عن حضيض التقليد إلى يَفَاع الاطِّلاع على الدليل، فإنَّ المُخلِدَ إلى التقليد لا يعرف وجهَ الخطأ من الصواب، ولا ينفك في أكثر الأمر عن عوارضِ الشك والارتياب"[3].

أما أصول النحو عند السيوطي فهي "علمٌ يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية، من حيث هي أدلته، وكيفية الاستدلال بها، وحال المستدل"[4].

وقد فرَّق د.علي أبو المكارم في دراسة الخطوط العامَّة التي بُنِيَ عليها علمُ النحو بين مصطلحين، المصطلح الذي وصفَه بـ(القديم) وهو مصطلح (علم أصول النحو) الذي تختلفُ دلالته حسبَ رأيه عن مصطلح (أصول التفكير النحوي)، حيث قال: "فإنَّ هذا الاصطلاح الذي نستخدمه (يقصد أصول التفكير النحوي) نقصدُ به دراسةَ الخطوط الرئيسة العامة التي سار

[1] لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت – لبنان، ط3، 1414هـ، مادة (أصل).

[2] فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت: القاضي محب الله بن عبد الشكور البهاري، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2002، ص 9.

[3] الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة: أبو البركات الأنباري، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، سوريا، 1957م، ص 80.

[4] الاقتراح في أصول النحو: السيوطي، تحقيق: د.محمود فجال، دار القلم، دمشق – سوريا، ط1، 1989، ص25.

عليها البحث النحوي، والتي أثرت في إنتاج النحاة وفكرهم على السواء، وهذه الخطوط العامة قديمةٌ جداً في البحث النحوي، حتى إنَّ من الممكن أن نردَّها إلى البداية الباكرة لنشأة البحث في النحو العربي، أي إلى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني، أمَّا علمُ أصول النحو فهو المحاولةُ المباشرة من النحاة لدراسة هذه الخطوط التي اتبعت في الإنتاج النحوي، وهي محاولةٌ متأخرةٌ فترةً طويلة عن الوجود الواقعي لأصول التفكير النحوي"[1].

وما ذهب إليه د. علي أبو المكارم لا يُحيلُ إلى اختلافٍ منهجي يطرأ عنه اختلافٌ بين عِلمَين مُنفَصِلَين، فالمادة التي استقاها النحاةُ الأوائلُ ممَّن يُحتج بهم لم تَقُم إلا بعدَ أن أرسَوا قواعدَ الاحتجاجِ والأخذِ ممَّن تُرضى لغته عندَهم، وبعد أن أقروا ما يُقاسُ عليه وما لا يُقاسُ عليه، فاكتملت بذلك عندَهم أصول هذا العلم واستقرت في أذهانهم، وإن لم تجمع وتدوَّن خلال الفترة السابقة لظهور أبي البركات الأنباري، وهذا ما ذهب إليه د. عبد الإله نبهان حيث قال: "وسواء أسمَّى بحثَه أصول التفكير النحوي أم علمَ أصول النحو فالمباحث التي سيتطرَّقُ إليها لن تتغيرَ ولم تتغيرْ...صحيحٌ أنَّه كانت له مواقفُ نقدية وآراء خاصَّة، ولكن هذا لا يعني أنَّه خرج عن العلم الرئيس إلى علم جديد"[2].

وأصول النحو وأدلته متنوعة لذلك قال ابن الأنباري بأن: "أنواع الاستدلال كثيرةٌ تخرج عن حد الحصر"[3]، وهي مع ذلك مختلف فيها عند النحاة، فأدلة النحو الإجمالية عند ابن الأنباري: نقلٌ وقياسٌ واستصحابُ حال "ومراتبها كذلك، وكذلك استدلالاتها"[4]. وهي عند ابن جني: السماعُ

[1] أصول التفكير النحوي: علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط1، 2006، ص 17.

[2] ابن يعيش النحوي: د. عبد الإله نبهان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997، 304.

[3] لمع الأدلة: ابن الأنباري، ص 127.

[4] لمع الأدلة: ابن الأنباري، ص 81.

والإجماعُ والقياسُ، كما ذكر السيوطي في الاقتراح[1]، ودون هذه الأدلة الإجمالية عنده أدلة أخرى كالاستحسان، وخلع الأدلة، والاحتجاج بقول المخالف وغيرها[2]، ثم جمع السيوطي بين أدلة النحو عند ابن الأنباري وعند ابن جني فكانت أدلة النحو الإجمالية عنده: السماع والقياس والإجماع واستصحاب الحال، ودونها الاستقراء، والاستحسان، وعدم النظير، وعدم الدليل[3].

وقد رأى بعض الباحثين أنَّ هذه الأدلة مع كثرتها واختلافها راجعة إلى دليلين أساسيين هما (السماع والقياس)، فأول هذه الأدلة "وهو الاستقراء راجع إلى السماع لأن المسموع عن العرب هو الذي يجري عليه الاستقراء، وبقية الأدلة المذكورة راجعة إلى القياس"[4].

ويبدو من تعريفات النحاة للنحو أنهم لم يذكروا غير هذين الدليلين، قال ابن عصفور في تعريف علم النحو: "علمٌ مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها"[5]، والمشهور المختصر من تعريفات النحو ما قاله الكسائي: "إنما النحو قياس يُتَّبع"[6]، وهو ما يدل على مكانة القياس بين أدلة النحو.

وغايتنا من دراسة القياس من بين هذه الأصول التي أقرَّها النحاة بيانُ مدى التزامِ المرزوقي به واعتمادِه عليه في المسائل التي ناقشها.

ثانياً: القياس:

[1] انظر: الاقتراح في أصول النحو: السيوطي، ص 26.

[2] انظر: الخصائص: ابن جني، ص 1/134، 1/189، 2/181.

[3] انظر: الاقتراح في أصول النحو: السيوطي، ص 26.

[4] الأصول: د.تمام حسان، ص 66.

[5] الاقتراح في أصول النحو: السيوطي، ص32.

[6] المصدر السابق: ص 175.

لمَّا كان السماع واستتبت به عُرى علوم العربية لغةً ونحواً وغريبَ ألفاظ، وكان سماعُهم يعتمد على الاستقراء الناقص[1]، فليس لهم أن يجمعوا كلَّ ما قالته العرب، حتى قال أبو عمرو بن العلاء: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءَكم وافراً لجاءَكم علمٌ وشعرٌ كثير"[2] كان لا بدَّ لهم أن يعمِّموا القواعدَ ويجبروا النقص الواقع في الاستقراء حتى تتطرد الأحكام النحوية، فلجؤوا إلى القياس، حتى صار هو النحو[3]، فحدُّ النحو عندهم "علمٌ بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب"[4]، وقال الكسائي: "إنما النحو قياس يتبع"[5].

والقياس لغةً: "قاسَ الشَّيْءَ يَقيسُه قَيْساً وَقِيَاسًا واقْتاسه وقَيَّسه إذا قدَّره عَلَى مِثَالِهِ... والمِقياس: المِقْدار. وقاسَ الشَّيْءَ يَقوسُه قَوْساً: لُغَةٌ فِي قاسَه يَقِيسه. وَيُقَالُ: قِسْته وقُسْته أَقُوسُه قَوْساً وقِياساً"[6].

أما القياس اصطلاحاً فقد عرفه أبو البركات الأنباري بأنَّه: "عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل، وقيل: هو حمل فرعٍ على أصلٍ بعلَّة، وإجراء حكم الأصل على الفرع، وقيل: هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع، وقيل: هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع"[7].

واقتضت هذه التعريفات أن يكون للقياس أركان وهي: أصلٌ وفرعٌ وعلَّةٌ وحكم[8]. وضرب ابن الأنباري مثلاً يبيِّن فيه هذه الأركان فقال: "وذلك مثل أن تركِّب قياساً في الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله فتقول: اسم أسند الفعل إليه مقدماً عليه فوجب أن يكون مرفوعاً قياساً على الفاعل،

---

[1] انظر: الأصول: تمام حسان، ص 16.

[2] طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة – السعودية، 25/1.

[3] انظر: القياس في النحو: منى إلياس، دار الفكر، دمشق، ط1، 1985، ص 9.

[4] الاقتراح في أصول النحو: السيوطي، ص 176.

[5] الاقتراح في أصول النحو: السيوطي، ص 175.

[6] لسان العرب: ابن منظور، مادة (قيس)

[7] لمع الأدلة: أبو البركات الأنباري، ص93.

[8] انظر: لمع الأدلة: 93.

فالأصل هو الفاعل، والفرع هو ما لم يسم فاعله، والعلة الجامعة هي الإسناد، والحكم هو الرفع"[1].

ثم قسَّم القياس إلى أنواع وهي:

1- قياس العلة: وهو أن يحمل الفرع على الأصل بالعلة التي علق عليها الحكم في الأصل، كالمثال الذي ضربه في رفع نائب الفاعل قياساً على الفاعل.

2- قياس الشبه: وهو أن يحمل الفرع على الأصل بضرب من الشبه غير العلة التي علق عليها الحكم في الأصل، وضرب على ذلك مثلاً: حكم إعراب الفعل المضارع لمشابهته الاسم، والإعراب أصل في الأسماء.

3- قياس الطرد: وهو الذي يوجد معه الحكم وتفقد الإخالة[2] في العلة، ومثَّل له ابن الأنباري بأنك لو عللت بناء (ليس) بعدم التصرف لاطرد البناء في كلِّ فعلٍ غير متصرف، فلما كان ذلك الطرد لا يغلب على الظن أنَّه العلة، بل نعلم يقيناً أنَّ العلة في بنائها هي أن الأصل في الأفعال البناء[3]، وما جاء على أصله لا يحتاج إلى تعليل، ولا سؤال فيه[4].

وهذه التقسيمات التي أوردها ابن الأنباري وغيرها من التقسيمات التي أوردها الأصوليون جاءت نتيجةَ النظر المنطقي في آلية القياس وطبيعته، وهي ثمرةُ نمو العلم من جيلٍ إلى جيل بالتدرُّج، ومن الطبيعي ألا نجدَ مثل هذه التقسيمات عند نحاتنا الأوائل، فالقياسُ عندهم كان

[1] لمع الأدلة: 93.

[2] أي المناسبة.

[3] انظر: لمع الأدلة: 110.

[4] سفر السعادة وسفير الإفادة: علم الدين السخاوي، تحقيق: محمد الدالي، تقديم: د. شاكر الفحام، دار صادر- بيروت، 1995م، ط2، 2/717.

"يطلق على القاعدة أو القانون الذي يستنبط من استقراء الكلام.... وهذا المعنى يكاد يكون هو المراد دون غيره لدى الطبقات الأولى من النحويين"[1].

فخلف من بعد الرعيل الأول من النحاة خلف أسَّسوا لبنةَ المذاهب النحوية والمدارس، وصار لهم نتاجهم الفكري ونظرهم الخاص بهم، والتحق بهم تلاميذ يتلقفون عنهم أصول هذا العلم ويعيدون النظر فيه وكلٌ له طريقه الخاص، حتى صار القياس يخضع لقوانين المنطق وكأنه متفرِّع عنه، "وأضحى القياس الركن الأساسي في أصول النحو"[2]، حتى قال ابن جني: "فإنَّ معرفة هذه الحال فيه أمثلُ من معرفة عشرة أمثال لغته، وذلك أنَّ مسألةً واحدةً من القياس أنبلُ وأنبهُ من كتاب لغة عند عيون الناس. قال لي أبو علي – رحمه الله – بحلب سنة ست وأربعين: أُخطئ في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطئ في واحدة من القياس"[3].

ثالثاً: صور القياس عند المرزوقي

وقد تتلمذ المرزوقي على يد أبي علي الفارسي، وأخذ عنه معرفةَ القياس وطرائقه، وإن كان لم يبلغ شأوَ أستاذه؛ إلا أنَّه كان يسير على خطاه، ويظهر هذا جلياً في آثار المرزوقي، فمن صور القياس عند المرزوقي:

1- حمل النظير على النظير: وهو عند السيوطي من القياس المساوي[4]، وضرب له مثلاً: "اسم التفضيل وأفعل في التعجب، فإنَّهم منعوا (أفعل) التفضيل أن يرفع الظاهر لشبه بـ(أفعل) في التعجب وزناً وأصلاً وإفادةً للمبالغة، وأجازوا تصغير (أفعل) في التعجب لشبهه بـ(أفعل) التفضيل في ذلك"[5].

[1] القياس في النحو: منى إلياس، 79.

[2] ابن يعيش النحوي: د. عبد الإله نبهان، 462.

[3] الخصائص: ابن جني، 2/90.

[4] الاقتراح في أصول النحو: السيوطي، ص 192.

[5] المصدر السابق: ص 207.

فمدار هذا القياس الشبه بين الفرع والأصل، ومن أمثلة قياس النظير عند المرزوقي قوله: "فأما (يذَر) فهو مستقبل (وَذَر)، فمحمولٌ على (يَدَع)، كما يُحمل الشيءُ على نظيره"[1].

فالأصل في ما كان من الأفعال على (فعَل يفعِل) وكان فاؤه حرفَ علة أن يُحذَفَ الفاءُ منه في المضارع، نحو (وعَد يَعِد) ذلك أنَّ الواو وقعت بين الكسرة والياء فتحذف استثقالاً[2]، أمَّا ما جاء من هذه الأفعال وفيه حرف حلق فيُفتح عينه في المضارع، قال الرضي: "وأما وَهَبَ يَهَبُ وَوَضَعَ يَضَعُ وَوَقَعَ يَقَعُ وَوَلَغَ يَلَغ فالأصل فيها كسر عين المضارع، وكذا وَسِعَ يَسَعَ وَوَطِئَ يطأ، فحذف الواو، ثم فُتِحَ العينُ لحرف الْحَلْقِ، وكذا وَدَعَ – أي ترك – يَدَع"[3]، ثمَّ حمل الفعل (يذر) بفتح عينه على الفعل (يدع) لما فيمها من المشابهة من حيث المعنى، ولما اجتمعَ فيهما من حكم واحد في ماضيهما المتروك (وذر) و(ودع)، فقد استغني عنهما بالفعل (ترك)، قال ابن جني: " قال سيبويه: واعلم أن العرب قد تستغني بالشيء عن الشيء حتى يصير المستغنى عنه مسقطًا من كلامهم البتة. فمن ذلك استغناؤهم بترك عن "ودع" و "وذر"[4].

ومما ذكره المرزوقي في هذا النوع من القياس قوله في بيت الشاعر[5]:

يَـدَيتُ علـى ابـنِ حَسـحَاسِ بـنِ وهـبٍ بأســفَلِ ذي الجــدَاةِ يَــدَ الكــريمِ

"إنما عدي (يديت) بـ(على)، لأنه أُجري مجرى (أنعمت). وهم يحملون النظير على النظير، كما يحملون النقيض على النقيض"[6].

---

[1] أمالي المرزوقي: المرزوقي، تحقيق: د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص 43.

[2] انظر: الاقتراح في أصول النحو: السيوطي، 230.

[3] شرح شافية ابن الحاجب: الرضي الأستراباذي، تحقيق: محمد الزقزاق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1975، ص 130.

[4] الخصائص: ابن جني، 1/267.

[5] وهو معقل بن عامر الأسدي، انظر الحماسية (39) من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق: أحمد أمين، عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

[6] شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، 1/193.

فالأصل في الفعل (يديت) أن يقال: يديت عنده وأيديت، قال الجوهري: "يَدَيْتُ الرَّجُلَ أَصَبْتُ يَده فَهُوَ مَيْدِيٌّ، فإِن أَردت أَنك اتَّخَذْتَ عِنْدَهُ يَداً قُلْتَ أَيْدَيْت عِنْدَهُ يَدًا، فأَنا مُودٍ، وَهُوَ مُودًى إِليه، ويَدَيْتُ لُغَةٌ"[1]. فالفعل يعدى بالظرف (عند) ليتم معناه معه، لأن الفعل (يديت) لما كان مشتقاً من اليد، وكانت دلالته لِما فيه من صُنعِ اليدِ المعروفَ ووضعه في موضعه كان الظرف (عند) أنسب له، فلما كان الفعل يدل على اتخاذ صنيعةٍ شريفةٍ ويدل على إسباغ النعمة كاملة أشبه الفعل (أنعم) من حيث المعنى، فعدي تعديته بـ(على)، قال تعالى: ﴿**يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**﴾[2]، وقد لمح المرزوقي هذا الفرق الدلالي بين الفعلين وما طرأ على الفعل (يديت) من تغيير بالتعدية، فكان لا بد له من قياس المتناظرين وحملهما على بعضهما، وكل ذلك في سبيل الحفاظ على سلامة المنطق اللغوي وتبيين المعنى وتوضيحه.

وقال المرزوقي أيضاً في هذا النوع من القياس: "سخرتُ منه، واستسخرتُ هو الاختيار، وبعضهم يعديه بالباء وهو قليل، يجريه مجرى (هزئتُ)، وهم يحملون النظير على النظير"[3].

فالمرزوقي يحمل الفعل (سخر) من حيث تعديته بالباء على الفعل (هزأ) على الرغم من إشارته إلى أنَّ هذه التعدية قليلة، إذ الأصل أن يتعدَّى هذا الفعل بحرف الجر (من)، لكنَّ الفراء رفض تعدية الفعل (سخرت) بالباء، فقد نقل عنه ابن منظور أنَّه قال: "يُقَالُ سَخِرْتُ مِنْهُ، وَلَا يُقَالُ سَخِرْتُ بِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ**﴾"[4].

---

[1] الصحاح: الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 1987، مادة (يدي).

[2] البقرة: 40.

[3] شرح الفصيح: المرزوقي، تحقيق: د.سليمان إبراهيم العايد، كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، ص 99.

[4] لسان العرب: مادة (سخر).

والمراد من قول المرزوقي (بعضهم) إشارة إلى رأي الأخفش[1]، " قَالَ الأَخفش: سَخِرْتُ مِنْهُ وسَخِرْتُ بِهِ، وضَحِكْتُ مِنْهُ وَضَحِكْتُ بِهِ، وهَزِئْتُ مِنْهُ وهَزِئْتُ بِهِ؛ كلٌّ يُقَالُ"[2]، وإذا كان الأمر على ذلك، فما ذكره المرزوقي من حمل الفعل (سخر) على الفعل (هزأ) فيه نظر، وذلك من جهتين:

1- ما ذكره الفراء من استعمال الفعل (سخر) مع حرف الجر (من) معضوداً بالسماع من القرآن الكريم، ولا يوجد شاهد على تعدية هذا الفعل بالباء.

2- أنَّ الأخفش ذكر في الفعل (الفرع) لغتين (سخرتُ منه، وسخرتُ به)، كما ذكر في الفعل (الأصل) لغتين (هزئتُ منه، وهزئتُ به)، فإذا كان الأصل المقيس عليه له صورتان في الأداء، فعلى أي الصورتين يُحمل الفرع؟.

وأكثر ما ورد عند المرزوقي من شواهد لقياس النظير كانت في تعدية الأفعال بحروف الجر، من ذلك ما قاله المرزوقي في شرح المفضليات في بيت أفنون التغلبي[3]:

أَم كَيفَ يَنفَعُ ما تُعطي العَلوقَ بِهِ رِئمانَ أَنفٍ إِذا ما ضُنَّ بِاللَبَنِ

"وإنما عدي (تعطي) بالباء لأنه أجراه مجرى نظيره، وهو (يسمح)"[4].

فالأصل في الفعل (أعطى يعطي) أن يتعدى إلى مفعولين بنفسه دون واسطة، لكنه لما أشبه الفعل (يسمح) عدي المفعول الثاني منه بالباء، فقاس المرزوقي الفعل (يعطي) على الفعل نظيره (يسمح)، وهذا النوع من القياس تكثر أمثلته في آثار المرزوقي، فقد كان يستعين به لتوضيح المعنى ليستقيم الشرح.

---

[1] انظر: شرح الفصيح: المرزوقي، ص96.

[2] المصدر السابق.

[3] المفضلية 61 عند المرزوقي، و 66 عند الأنباري والتبريزي.

[4] شرح المفضليات: المرزوقي، مخطوط مكتبة برلين، رقم 7446، ص 2/285.

2- حمل النقيض على النقيض

ويعدُّ هذا النوع من القياس مع سابقه من القياس الفطري في اللغة، وهو كثيرٌ في أقيسة النحاة، قال ابن جني: "لما كان (رضيت) ضدَّ (سخطت) عدّي (رضيت) بعلى حملاً للشيء على نقيضه؛ كما يحمل على نظيره. وقد سلك سيبويه هذه الطريق في المصادر كثيراً، فقال: قالوا كذا كما قالوا كذا، وأحدهما ضد الآخر"[1]، حتى أن ابن جني عقد باباً في خصائصه لهذا النوع من القياس سماه (باب في الشيء يرد مع نظيره مورده مع نقيضه)[2].

ومن أمثلة هذا القياس عند المرزوقي ما قاله المرزوقي في بيت زياد الأعجم[3]:

ومَن أنتمُ إنَّا نَسينا منَ انتُمُ وريحكُمُ من أيِّ ريحِ الأعاصرِ

"قوله (إنا نسينا منَ انتم) يجوز أن تجعل (من) استفهاماً، وقد كرَّره، وعلَّق (نسينا) قبله، وإن لم يكن من أفعال الشكِّ واليقين، لأنَّه أجراه مجرى نقيضه، وهو (عرفت) و(ذكرت)؛ وهُم يجرون النظير مجرى النظير، والنقيض مجرى النقيض...ويجوز أن نجعلَ (من) بمعنى (الذي) وقد حذف صلته، كأنَّه قال: إنَّا نسينا الذين هم أنتم، والأول أوجه"[4].

فقد حمل المرزوقي الفعل (نسينا) على أفعال الشك واليقين في تعليقها عن العمل في الوجه الذي عدَّ فيه (من) استفهاماً، وذلك أن الفعل (نسي) ضد (عرف وذكر) ولذلك جرت عليه أحكام هذه الأفعال بالتعليق، والتعليق هو: "ترك العمل لفظاً دون معنى لمانع"[5]، والاستفهام مما يُعلِّق

[1] الخصائص: 2/313.

[2] الخصائص: 2/203

[3] الحماسية 666 من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، وفي البيت تخفيف الهمز في قوله (من انتم) بحذفها ونقل حركتها إلى ما قبلها.

[4] شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، 3/1539.

[5] شرح ابن عقيل: ابن عقيل الهمداني المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، 432-1/433.

أفعال القلوب عن العمل[1]، والتعليق بالاستفهام ليس خاصاً بالأفعال التي تتعدى إلى مفعولين، بل يصل أثره إلى الأفعال التي تتعدى إلى مفعول واحد، وقد استشهد ابن مالك ببيت الشاعر السابق لهذا النوع من الأفعال، فقال: "وعلق (نسي) لأنَّه ضد (علم)، والضد قد يحمل على الضد"[2]، واعترض عليه أبو حيان، بأن ضدَّ النسيان هو الذكر، وضدّ العلم هو الجهل[3]، غير أنَّ الاعتراض التي ذكره أبو حيان سلم منه المرزوقي، ذلك أنه ذكر أن الفعل (نسي) هو ضد الفعل (عرف وذكر).

كما أن ابن هشام اعترض على ابن مالك بأن لا حاجة لقياس النقيض في هذا الموقع، "بل كلّ فعلٍ قلبي يجوز تعليقُه بالاستفهام"[4] فابن هشام جعل الفعل (نسي) فعلاً قلبياً بالأصالة لا تشبيهه بضده من أفعال القلوب، ووجه الشاهد توجيهاً آخر لا تعليق للفعل فيه عن العمل، قال ابن هشام: "ثم البيت لا دليل فيه لاحتمال تقدير تمام الكلام عند قوله: (نسينا) ثم يبتدئ: من أنتم، توكيداً لمثله في أول البيت"[5]، وبذلك يكون ابن هشام قد ساق توجيهاً ثالثاً للبيت غير التوجيهين السابقين الذي قدمهما المرزوقي.

ومن قياس حمل النقيض على النقيض قول المرزوقي في بيت الجُميح الأسدي[6]:

والحــارِثُ المُســمِعُ الــدُّعاءَ وفــي أَصـــــحابِهِ مَلجَـــأٌ ومُعتَصَـــمُ

---

[1] انظر: تمهيد القواعد شرح تسهيل الفوائد: ناظر الجيش، تحقيق: د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام ، مصر، ط1، 1428هـ. 3/1508.

[2] شرح التسهيل: ابن مالك، تحقيق: د.عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي مختون، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1990، 2/90.

[3] انظر: التذييل والتكميل: أبو حيان، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ودار كنوز إشبيليا، ط1، 6/92.

[4] تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي، ط1، 1986.ص 454 .

[5] المصدر السابق: 456.

[6] المفضلية السادسة عند المرزوقي والتبريزي، والسابعة عند الأنباري.

وقوله: "(الحارث) مبتدأ، و(المسمع الدعاء) خبره، ولك أن تنصب (الدعاء) على المفعول، وأن تجره على التشبيه بـ(الحسن الوجهِ)، لأنهم يشبهون الذي يتعدى بما لا يتعدى فيضيفونه، كما يشبهون ما لا يتعدى بما يتعدى فيعملونه"[1].

فقد رأى المرزوقي أنَّ معمول اسم الفاعل (المسمع) يجوز فيه أمران، أولهما: النصب، وبذلك يكون عمل اسم الفاعل عمل فعله ولا خلاف، الثاني: الجر، حملاً على الصفة المشبهة، إذ الأصل أن تجر الصفة المشبهة معمولها على الإضافة، وبذلك يكون اسم الفاعل وهو (ما يتعدى) قد أشبه الصفة المشبهة وهي (ما لا يتعدى) في العمل، وهو مما أجازه سيبويه، قال: "وقد قال قومٌ من العرب تُرضىَ عربيَّتُهم: هذا الضاربُ الرجلِ، شبّهوه بالحَسَنِ الوجهِ، وإن كان ليس مثلَه في المعنى ولا في أَحواله إلاّ أنّه اسمٌ، وقد يَجُرُّ كما يجر وَيَنْصِبُ أيضاً كما يَنْصِبُ،...وقد يشبهون الشيء بالشيء وليس مثلَه في جميع أحواله"[2]، كما أنه يجوز حمل الصفة المشبهة على اسم الفاعل فتعمل عمله فتقول (الحسن الوجهَ) تشبيهاً بـ(الضارب الرجلَ)[3].

وفي حديثه عن (ربَّ) قال المرزوقي: "فإن قيل: فإذا كان كذلك فلم ابتدئ به، قلت: لما شارك (كم) في إفادته التقليل غير محدود، كما أن (كم) يفيد التكثير غير محدود لوقوعه في الاستفهام يصدر به الكلام، حمل (رب) عليه في ذلك لمشابهته له، فصُدِّر به الكلام"[4].

فنطاق المشابهة بين (ربَّ) التي تفيد التقليل، و(كم) التي تفيد التكثير هو تناقض الصفات، وبذلك أعطي (ربَّ) حكم (كم) في ابتداء الكلام به كما يبتدأ الكلام بـ(كم)، قال ابن الصائغ في حديثه عن (كم): "فالخبرُ يقترن بالتّكثير؛ والعددُ مجرورٌ بها، ولزمت صدر الكلام لأَنَّها في الخبر بمنزلة (رُبَّ)؛ لأنَّ الشّيءَ يحمل على نقيضه"، والحقيقة أن (كم) الخبرية حُملت على (كم)

[1] شرح المفضليات: المرزوقي، ص 102/1.

[2] الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1988. 1/182.

[3] انظر: الإيضاح العضدي: أبو علي الفارسي، تحقيق: د. حسن شاذلي فرهود، ط1، 1969، 154.

[4] شرح المفضليات: المرزوقي، ص 120/1.

الاستفهامية في ابتداء الكلام، ثم حملت (ربَّ) على (كم) الخبرية لما فيهما من حمل النقيض على النقيض.

كما أن قياس النقيض على النقيض عند المرزوقي يطال أبنية الألفاظ لما تحمله هذه الأبنية من معاني متناقضة، قال المرزوقي: "والصّبح، والصّباح، والإصباح كالمسي، والمساء، والإمساء، وهذا مما حمل فيه النّقيض على النّقيض، وعلى هذا المصبح والممسي"[1]، فأبنية هذه الأسماء والمصادر واحدة، ذلك لما تورد عليها من معانٍ متناقضة، وكذا الأمر فيما قاله المرزوقي في شرح المفضليات: "قال: اجزي بالنعمى نعيماً وبالبؤسى بئيساً، والنعمى والنعماء والنعمة والنعيم بمنزلة.... وكما بنوا من النعمة هذه الأبنية كذلك قالوا: البؤسى والبأساء والبئيس، وهم في المباني يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض"[2].

وقال المرزوقي في شرح الحماسة: "فأما قوله (الحمقى) فـ(فعلى) جمع فيما يكون بلاءً وزمانة. على ذلك (الجرحى) و(المرضى)، فشبهت الحماقة به، ثم حمل (الكيسى) عليه، لأنهم يحملون النقيض على النقيض كثيراً"[3].

وقد أشار الرضي الأستراباذي إلى أن هذا القياس ليس مطرداً فقال: "وأما قولهم (كَيْسَى) فمحمول على الحمقى، بالضدية، وليس هذا الحمل مطرداً، فلا يقال بَخْلَى ولا سَقْمَى"[4].

وقال المرزوقي في لفظ (أولى مؤنث أوَّل): "فأما إجازتهم الأولة فلأنهم يستعملونه مع الآخرة كثيراً، وهي فاعلة، نحو قوله تعالى (إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة)، وقال (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى)....فأجري مجراه، كما يحمل النقيض على النقيض"[1].

---

[1] الأزمنة والأمكنة: المرزوقي، ضبطه وخرج آياته: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص 31.

[2] شرح المفضليات: المرزوقي، 19/2. وانظر شرح الفصيح: المرزوقي، ص95.

[3] شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، 1145–3/1146.

[4] شرح شافية ابن الحاجب: الرضي الأستراباذي، 2/145.

3- حمل الفروع على الأصول وحمل الأصول على الفروع:

يبين المرزوقي ما يقترن بالقياس من أحكام حسب العلاقة بين المقيس والمقيس عليه، كما في حمل الفرع على الأصل، أو حمل الأصل على الفرع، مستشهداً بما يدل على هذا القياس، وذلك في شرحه على قول تأبط شراً[2]:

لا شيءَ أسرعُ مني ليس ذا عُذَرٍ وذا جناحٍ بجنبِ الريدِ خفَّاقِ

"ويجوز أن تجعل (ليس) بمعنى (لا) فينعطف به: ذا عذر، على شيء، كأنه قال: ولا شيء أسرع مني لا ذا عذر ولا ذا جناح ويجري هذا مجرى قول لبيد[3]:

وإذا جُوزيتَ قَرضَاً فاجزِهِ إنَّما يَجزي الفتَى ليسَ الجَمَلْ

لأن المعنى إنما يجزي العاقل المميز لا البهائم، وكما أجروا (ليس) مجرى (لا)، أجروا (لا) مجرى (ليس) في قوله[4]:

من صدَّ عن نيرنِها فأنا ابنُ قَيسٍ لا براحُ

قال سيبويه: أجرى (لا) مجرى (ليس) فرفع براح وأضمر الخبر"[5].

وحمل (لا) وهي فرع على (ليس) وهي أصل وإعطاؤها حكمها أمر مشهور عن سيبويه[6]، ووافقه فيه كثير من النحاة، أما حمل الأصل (ليس) على الفرع (لا) وجعلها عاطفة ففيه خلاف فقد أجازه البغداديون كما نقل ابن عصفور، ونقله أبو جعفر النحاس وابن بابشاذ عن الكوفيين[1].

---

[1] شرح الفصيح: المرزوقي، ص 339.

[2] المفضلية الأولى عند الأنباري والمرزوقي والتبريزي.

[3] في ديوانه: ص 179، وهو شاهد نحوي في كتاب سيبويه: ص 2/333.

[4] البيت لسعد بن مالك، وهو شاهد نحوي في كتاب سيبويه: ص 1/58.، وشرح ديوان الحماسة: المرزوقي، ص 2/506.

[5] شرح المفضليات: المرزوقي، ص 29.

[6] انظر: الكتاب: سيبويه، 1/58.

ونرى المرزوقي يؤيد هذا المذهب، أما الرواية عند البصريين[2]:

وإذا جُوزيـــــتَ قرضـــــاً فـــــاجزه إنَّمـا يَجـزي الفتـى غيـرُ الجَمـلْ

ولا شاهد فيه عند ذلك على حمل (ليس) على (لا)، ويسقط ما استدل به المرزوقي على هذا القياس، وقد ذهب أبو علي الفارسي في هذا البيت مذهباً آخر، فهو يرى أن رواية (ليس الجمل) " ليس في إنشادهم إياه حجة على أنها عطف؛ ألا ترى أنه يجوز أن يكون "الجمل" خبر "ليس"، كأنه قال: ليس الذي يجزي الجمل، أي: إنما هو الفتى ليس إياه. ويجوز أن يكون "الجمل" اسم "ليس"، والخبر مضمر، كأنه قال: ليس الجمل جازياً"[3].

4- والمرزوقي يلتزم بالقياس الموافق للسماع، وإن جاء حرف في السماع يخالف القياس بيَّن ترجيح القياس على السماع، من ذلك قوله: "فإن بنيت اسم المفعول من بنات الواو قلت في قال: مقول، وفي سار إليه: مسور إليه، والأصل: مقوول، فألقيت حركة الواو على القاف فالتقى ساكنان وهما الواوان، فحذفت واو المفعول عند سيبويه، أو الواو الأصلي عند الأخفش فصار مقول، ولم يجئ صحيحاً من بنات الواو في مفعول إلاّ حرفان، جاء: ثوب مصوون، وهو اسم المفعول من صانه يصونه، والقياس: مصون، وهو المستعمل، ومسك مدووف، وهو من دافه يدوفه والقياس مدوف وهو المستعمل، وهذان حكاهما الكسائي"[4]

وحكم هذين الحرفين (مصوون – مدووف) الشذوذ في الاستعمال والقياس كما ذكر ابن جني، قال: " والرابع الشاذ في القياس والاستعمال جميعًا. وهو كتتميم مفعول فيما عينه واو نحو:

---

[1] انظر: شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2000، 2/155.

[2] انظر: الكتاب: سيبويه، 2/333، والمقتضب: المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 4/410.

[3] المسائل الحلبيات: أبو علي الفارسي، د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1987، ص 265.

[4] أمالي المرزوقي: ص 49.

ثوب مصوون، ومسك مدووف... وكل ذلك شاذ في القياس والاستعمال. فلا يسوغ القياس عليه ولا رد غيره إليه، ولا يحسن أيضاً استعماله فيما استعملته فيه إلا على وجه الحكاية"[1]، وقد سعى المرزوقي في كلامه إلى إظهار اللغة الثانية المسموعة، ثم نبه على الراجح في القياس والاستعمال دون أن يصرح بشذوذ اللغة الثانية.

5- وكذلك إذا شذت ألفاظ في السماع واستعملت فإن المرزوقي ينبه إلى أصل هذه الألفاظ وقياسها وحكمها في الاستعمال، قال المرزوقي: "واعلم أن اسم المكان والمصدر اللذين يكونان بزيادة الميم يكونان في هذا الباب على مفعِل نحو: موعد، وموثِق، وموزِن، ومورد، وموضِع، إلاّ أحرفاً شذت: كموهَب اسم رجل بفتح الهاء، وإنما هو مصدر وهب، ويدل على أن الأصل فيه مفعِل بكسر العين قولك: موهِبة الله حسنة، وموحَد، إذا قلت: جاء القوم موحَد موحَد، كما تقول: جاء القوم أُحادَ أُحادَ، وموكَل اسم موضع، وكان القياس فيه أن يقال: موحِد، وموهِب، وموكِل"[2].

فالأصل فيما كانت فاؤه حرف العلة (الواو) أن يكون بكسر العين، لكن سمعت هذه الألفاظ التي أشار إليها المرزوقي، وغيرها من الألفاظ وحكمها الشذوذ في القياس[3].

6- بيَّنَ المرزوقي رأيه في المسموع ووضَّح تفرعه بين الاطراد والشذوذ وحكمه من القياس، يقول: "والمصائب: جمع مصيبة، وهي مفعلةٌ، وشبه مدتها بمدة فعيلة، وجمعت جمعها، والقياس مصاوب وقد جاء ولكنه في الاستعمال دون مصائب. وهذا مما شذ في القياس، أعني مصائب. ومصاوب شاذٌ في الاستعمال مطرد في القياس"[4].

وقد قسم ابن جني المسموع في باب الاطراد والشذوذ إلى أربعة أقسام:

1- مطرد في القياس والاستعمال جميعاً: نحو قام زيد وضربت عمراً ومررت بسعيد.

---

[1] الخصائص: ابن جني، 1/100-99.

[2] أمالي المرزوقي: ص 59.

[3] انظر: المنصف: ابن جني، دار إحياء التراث القديم، ط1، 1954، ص 142.

[4] شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، 4/1877.

2- مطرد في القياس شاذ في الاستعمال: نحو استعمال الماضي من الفعل (يذر ويدع).

3- المطرد في الاستعمال الشاذ في القياس: نحو تصحيح عين (استصوب واستحوذ واستنوق) والقياس إعلالها ألفاً.

4- الشاذ في القياس والاستعمال جميعاً: نحو تتميم اسم المفعول فيما عينه واو مثل (مصوون – مدووف)[1].

فأدرج المرزوقي اللفظين (مصائب – مصاوب) ضمن البابين الثاني والثالث من هذا التقسيم، فـ(مصاوب) من الباب الثاني فهو مطرد في القياس شاذ في الاستعمال، و(مصائب) من الباب الثالث فهو مطرد في الاستعمال شاذ في القياس.

ومثل ذلك فيما قال المرزوقي: "وحسبت الشيء: ظننته، أحسَبه بفتح السين، وهو المقيس، وأحسِبه بالكسر، وهو الأكثر في الاستعمال، وإن كان شاذاً في القياس"[2] فيبين المرزوقي الفصيح في هذا الحرف من اللغة، وأن الفعل قد جاء بفتح السين وبكسرها، لكن الفتح هو القياس الصحيح لهذا الفعل وإن كان أقل في الاستعمال، والأفشى في الاستعمال اللغة الثانية وهي شاذة في القياس.

7- الحمل على المعنى:

بين ابن جني المقصود بالحمل على المعنى ووضع أمثلة له فقال: " اعلم أن هذا الشَرْج غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح. قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً؛ كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصوير معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً، وغير ذلك"[3].

[1] انظر: الخصائص: ابن جني، 1/99-98.

[2] شرح الفصيح: المرزوقي، ص 116.

[3] الخصائص: ابن جني، 2/413.

ومن أمثلة الحمل على المعنى عنده، قال المرزوقي في قول الشاعر[1]:

وإلا أكُـــنْ كـــلَّ الشُّـــجاعِ فـــإنَّنِي بضَـربِ الطُّلَـى والهَـامِ حـقٌّ عَلـيمِ

"والباء من قوله (بضرب الطلى) تعلق بقوله (عليم)، فإن قيل: كيف ساغ ذلك والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف؟ قلت: لما كان قوله (حق عليم) لا زيادة فيه إلا التوكيد لم يعتد بالمضاف، فحمل الكلام على المعنى لا على اللفظ، فكأنه قال: إنني بضرب الطلى عليم جداً، ويجري هذا المجرى إجازتهم لقول القائل: أنت زيداً غير ضارب، مع امتناعهم من إجازة أنت زيداً مثل ضارب، لما كانت معنى (غير) معنى (لا)، فحمل الكلام على المعنى لا على اللفظ، حتى كأنه قيل: أنت زيداً لا ضاربٌ، فاعلمه، وبالله التوفيق"[2].

فالمرزوقي يبين كيفية تعليق شبه الجملة بالمشتق (عليم) وهو مضاف إليه، والذي تقتضيه الصناعة أن تعلق شبه الجملة بالخبر (حق) وهو مضاف، لكن لما كان المعنى يقتضي أن يكون هذا المضاف الغاية منه التوكيد، ويتم المعنى من دونه، بل إن المعنى يقتضي أن يتم التعليق بـ(عليم) لأن المراد من الكلام أنه (عليم جداً) جاز هذا التعليق حملاً على المعنى، ويقيس هذا القول على قول آخر مشابه له، وهو قولهم: أنت زيداً غير ضاربٍ، وهو جائز لأن معنى (غير) هو معنى (لا)، فلو حمل الكلام على اللفظ لما جاز، لكنه جائز حملاً على المعنى.

8- كان المرزوقي يتخذ معيار الكثرة اللغوية لصحة القياس فالشيء إذا كثر في كلام العرب وفشا استعماله فالواجب القياس عليه، يقول: "أحمدته أي: وجدته محموداً، وهذا كما يقال: أجبنته أي: أصبته جباناً، وبعض الناس يجعله قياساً فيقول: أذممته أي وجدته مذموماً، وأضللته

1 وهو الشاعر عبد العزيز بن زرارة، الحماسية 83 من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

2 شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، 1/279.

أي: وجدته ضالاً، وبعضهم يقف عند السماع، ولا يجعله قياساً، وليس ذلك بسديد، لأن الشيء إذا كثر في كلامهم واتسع فالواجب القياس عليه ما لم يمنع منه مانع"[1].

9- **وكثيراً ما يقرن القياس بالتعليل** كما مر من أمثلة سابقاً، فيقيس المرزوقي الظرف (أمس) على (أل التعريف) ويجعله سبباً في بنائه، فالأصل في الظرف أن يكون معرباً لكنَّه لما تضمَّن معنى الحرف والأصل في الحرف البناء، حُمِلَت (أمس) على (الألف واللام) فبُنيت : "وأمس في موضع الجر، والكسرة في آخره كسرة بناء، وإنما بني لتضمنه معنى الألف واللام لكونه معرفة،....فلما تضمن معنى الألف واللام وجب أن يبنى كما يبنى الحرف"[2]. وقد ذهب ابن خروف إلى أن علة بناء إرادة التخفيف تشبيهاً لها بالأصوات[3].

وقال المرزوقي في تعليل نصب الظرف (غدوة) بعد (لدن): "(لدن غدوة) ظرفٌ لقوله (نستنقذُ الجردَ)، وانتصب (غدوة) عن النون من (لدن)، لأنَّه شُبّه بالنون من (عشرين) في ثباته مرةً وسقوطه أخرى، وكما نصب (الدرهم) بعد (عشرين)، كذلك نصب (غدوة) بعد (لدن)، وهذا شاذ في القياس كثير في الاستعمال"[4].

فالعلة التي أوجبت نصب (غدوة) بعد لدن قياسها على النون التي في (عشرين)، فكما أن تلك إذا ثبتت كان ما بعدها منصوباً، وإذا حذفت جر ما بعدها على الإضافة، فكذلك النون في (لدن) ، لما كانت ظاهرةً في اللفظ مثبتة جاء ما بعدها (غدوة) منصوباً)، قال أبو سعيد السيرافي: " وإنما تنصب العرب غدوة، وإن كان القياس فيها الخفض على ضرب من التأويل

[1] شرح الفصيح: المرزوقي، ص 78.

[2] شرح الفصيح: المرزوقي، ص 347، ويكرر المرزوقي هذا القياس في موضع آخر من مؤلفاته، يقول: "وهذه اللفظة مبنية على الكسر لأنها معرفة عدل بها عن الأمس وضمنت معنى الألف واللام فاستحقت لذلك البناء، لأن الاسم إذا تضمن معنى حرف يستحق البناء، ثم بنيت على الكسرة لالتقاء الساكنين". انظر شرح المفضليات: المرزوقي، ص 427.

[3] شرح الكافية الشافية: ابن مالك، ص 3/1482.

[4] شرح المفضليات: المرزوقي، ص 236/1.

والتشبيه، وذلك أنهم يقولون: " لد " فيحذفون النون، و " لدن " فيثبتون النون، فشبّهوا هذه النون بالنون الزائدة في عشرين وضاربين؛ لأنك تقول: هذه عشرو زيد، وضاربو زيد، ثم تقول: هذه عشرون درهماً، وضاربون زيداً"[1].

[1] شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2008، 312/1.

نتائج البحث:

بعد عرض صورٍ من القياس النحوي عند المرزوقي في آثاره، وتبين آرائه وتعليلاته فيها يمكننا الخلوص إلى النتائج التالية:

1- تتلمذ المرزوقي على أبي علي الفارسي، وأخذ عنه معرفةَ القياس وطرائقه، وإن كان لم يبلغ شأوَ أستاذه؛ إلا أنَّه كان يسير على خطاه.

2- كان المرزوقي يقيس النظير على النظير ويبين العلة الجامعة بين المتشابهين وأكثر ما جاء من هذا النوع من القياس كان في تعدية الأفعال، كما كان يقيس النقيض على النقيض مبيناً سنن العرب في بناء كلامها من خلال هذا القياس.

3- التزم المرزوقي بالقياس الموافق للسماع، وإن جاء حرف في السماع يخالف القياس بيَّن ترجيح القياس على السماع، .

4- اتخذ المرزوقي معيار الكثرة اللغوية لصحة القياس فالشيء إذا كثر في كلام العرب وفشا استعماله فالواجب القياس عليه

5- كثيراً ما يقترن القياس عند المرزوقي بالتعليل، فيبين علة قياس الفرع على الأصل أو على بناء الأصل على الفرع.

مصادر البحث ومراجعه

Research sources and references

1. القرآن الكريم
2. ابن يعيش النحوي: د. عبد الإله نبهان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997.
3. الأزمنة والأمكنة: المرزوقي، ضبطه وخرج آياته: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.
4. الأصول: دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو – فقه اللغة – البلاغة): د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة – مصر، 2000م.
5. أصول التفكير النحوي: علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط1، 2006.
6. الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة: أبو البركات الأنباري، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، سوريا، 1957.
7. الاقتراح في أصول النحو: السيوطي، تحقيق: د.محمود فجال، دار القلم، دمشق – سوريا، ط1، 1989.
8. أمالي المرزوقي: المرزوقي، تحقيق: د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، 1995.
9. إنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1424.
10. الإيضاح العضدي: أبو علي الفارسي، تحقيق: د. حسن شاذلي فرهود، ط1، 1969.

11. تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي، ط1، 1986.

12. التذييل والتكميل: أبو حيان، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ودار كنوز إشبيليا، ط1.

13. تمهيد القواعد شرح تسهيل الفوائد: ناظر الجيش، تحقيق: د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام ، مصر، ط1، 1428هـ.

14. الخصائص: ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط2.

15. سفر السعادة وسفير الإفادة: علم الدين السخاوي، تحقيق: محمد الدالي، تقديم: د. شاكر الفحام، دار صادر– بيروت، 1995م، ط2.

16. سير أعلام النبلاء: الحافظ الذهبي،، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985.

17. شرح ابن عقيل: ابن عقيل الهمداني المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، 1980.

18. شرح التسهيل: ابن مالك، تحقيق: د.عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي مختون، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1990.

19. شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2000.

20. شرح الفصيح: المرزوقي، تحقيق: د.سليمان إبراهيم العايد، كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها.

21. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق: أحمد أمين، عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

22. شرح شافية ابن الحاجب: الرضي الأستراباذي، تحقيق: محمد الزفزاق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1975.

23. شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2008.

24. الصحاح: الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 1987، مادة (يدي).

25. طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة – السعودية، 25/1.

26. فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت: القاضي محب الله بن عبد الشكور البهاري، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2002، ص 9.

27. القياس في النحو: منى إلياس، دار الفكر، دمشق، ط1، 1985.

28. الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1988. 1/182.

29. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت – لبنان، ط3، 1414هـ.

30. المسائل الحلبيات: أبو علي الفارسي، د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1987،

31. معجم الأدباء: ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993.

32. المقتضب: المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

33. المنصف: ابن جني، دار إحياء التراث القديم، ط1، 1954، ص 142.

المخطوطات:

1. شرح المفضليات: المرزوقي، مخطوط مكتبة برلين، رقم 7446.

دراسة مدى ملاءمة منهاج "إدراج الأدب في الحوار" لحاجات طلاب السنة الثانية في كلية الآداب في جامعة تشرين

اسم الطالبة : باسكال سعد الله إبراهيم – كلية الآداب – جامعة دمشق

الأستاذ المشرف :أ .د .فؤاد خوري

ملخص :

يهدف تعليم اللغة الفرنسية لأغراض خاصة إلى ملاءمة تعليم اللغة الفرنسية للطلاب الراغبين باكتساب مهارات لغوية وثقافية محددة مرتبطة بمجال عملهم. للقيام بعملية ملاءمة منهاج تعليم اللغة الفرنسية لأغراض خاصة بشكل فعال، يجب على المدرس أن يأخذ بعين الاعتبار بعض العوامل مثل : حاجات الطلاب، أهداف منهاج التعليم، نتائج التعلم و تقنيات التعليم والتقييم الملائمة لهذا النوع المحدد من الطلاب.

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد مدى ملاءمة منهاج "إدراج الادب في الحوار" لحاجات طلاب السنة الثانية في مختلف الأقسام في كلية الآداب بجامعة تشرين. . ولنتمكن من تحقيق هذا الهدف نرتكز على بعض المعطيات الهامة مثل الاستبيان الموجه للطلاب واللقاءات مع المدرسين والملاحظات ضمن السياق المذكور...

كلمات مفتاحية :

الملاءمة، منهاج تعليم اللغة الفرنسية لأغراض خاصة، الحاجات، الطلاب، المدرس، التعليم، أهداف التعلم.

Etude de l'adaptation de la méthode "Littérature en dialogue" aux besoins des apprenants

Cas d'étude : Apprenants de la deuxième année à la Faculté des Lettres à l'Université de Tichrine.

Introduction

Le français sur objectifs spécifiques (FOS) est une branche de la didactique du français. Il s'adresse à un public qui a des besoins spécifiques, dans un domaine donné, pour atteindre des objectifs bien précis.

Le FOS nécessite ainsi une étude préalable du public : sa spécialité, ses besoins et sa disponibilité pour le temps (limité souvent).

Il existe certes des méthodes de français de spécialité mais elles restent universelles dans la mesure où elles s'adressent à un public spécialisé dans un domaine, alors que à l'intérieur de ce grand public, il existe des spécificités qui concernent l'âge, la langue maternelle, le contexte didactique, les tendances …

Ces méthodes posent donc le problème d'un enseignement adéquat et adapté. Ce qui suppose de l'enseignant une

formation solide pour effectuer ce type d'étude et pour savoir adapter la méthode à son public.

Dans le cadre de notre recherche, nous avons choisi d'étudier le degré de l'adaptation de la méthode "Littérature en dialogue" aux besoins des apprenants de la deuxième année à la Faculté des Lettres à l'Université de Tichrine.

1. Définition d'une méthode de FOS

La méthode de FOS est un ensemble pédagogique qui propose des activités et des exercices variés autour de quelques thèmes spécifiques précis selon la nature du public auquel cette méthode est adressée. Ce type d'enseignement se présente sous la forme d'un livre, d'un cahier d'exercices, d'un guide pédagogique et de supports audio/vidéo.

La méthode de FOS est conçue pour des publics hétérogènes et a une visée universaliste, mais en même temps elle a ses principes de sélection et d'organisation et doit avoir les éléments suivants (SAGNIER, 2002, 6) :

"-nature des échantillons langagiers servant de support aux activités ;

-types d'exercices et activités proposés ;

-traitement de la grammaire et du lexique ;

-place de l'apprenant et de son vécu dans l'apprentissage ;

-traitement de la dimension culturelle de la communication".

En ce qui concerne la terminologie didactique du FLE. PUREN détermine trois sens de la méthode de FOS :

- **Premièrement,**

La méthode c'est le matériel d'enseignement, c'est-à-dire un manuel ou un livre scolaire. Pour ce sens, PUREN utilise le terme de cours. Il existe beaucoup de cours qui sont utilisés pour l'enseignement des langues étrangères, qui se divisent d'après le niveau des apprenants, d'après le type de l'école ou d'après l'orientation de domaine (économie, hôtellerie, etc.)

- **Deuxièmement,**

La méthode c'est l'ensemble de procédés et techniques qui aident un enseignant à atteindre l'objectif visé. En ce sens, en pédagogie générale on parle des méthodes actives. C'est chaque activité réalisée par enseignant pour captiver attention et maintenir l'intérêt auprès ses élèves.

Pour ce sens, PUREN utilise le terme de méthode.

•Troisièmement

La méthode c'est « L'ensemble cohérent de procédés, techniques et méthodes qui s'est révélé capable, sur une certaine période historique et chez des concepteurs différents, de générer des cours relativement originaux par rapport aux cours antérieurs et équivalents entre eux quant aux pratiques d'enseignement/apprentissage induites.» Pour ce sens, PUREN utilise le terme de méthodologie. (PUREN, 1996, p.17)

2. Adoption d'une méthode d'enseignement de FOS

Le choix d'une méthode d'enseignement du FOS ne se fait pas par hasard, cela doit se faire selon quelques principes prenant en compte la nature et la culture du pays du public auquel elle va être adressée.

Cette adoption se situe dans un espace didactique particulier et s'inscrit "au cœur d'un réseau d'influences diverses provenant des principaux acteurs de la

formation linguistique et commerciale sur le territoire national" (*Opcit*, 4)

Les spécialistes dans le choix des méthodes de FOS doivent choisir un contenu d'apprentissage avec un lexique spécialisé qui correspond aux besoins des apprenants qui ont déjà une connaissance spécialisée en français et à la variété de leur niveau et de leur motivation. Il faut choisir et combiner différentes méthodes classiques qui ont fait preuve de leur efficacité, en fonction des objectifs à atteindre et du public reçu en formation.

Selon CARRE, CLENET, HALLUIN et POISSON (1999 : 382), il est indispensable d'adopter une méthode de formation de FOS qui doit satisfaire trois critères :

- ✓ *« de globalité » (prendre en compte tous les paramètres de la construction pédagogique) ;*
- ✓ *« de finalisation » (partir d'une finalité exprimée en termes d'objectifs de formation) ;*
- ✓ *« de productivité » (optimiser le rapport entre les résultats obtenus et les coûts du projet.*

Car, avec ces trois critères, la méthode d'enseignement de FOS "a pour mission de créer ou d'améliorer un dispositif

pédagogique en optimisant l'articulation des ressources humaines, techniques, financières et logistiques disponibles en fonction des spécifications générales d'un cahier des charges de formation " (*Ibid*., p.382-383)

Ainsi, dans le domaine du FOS, il faudrait choisir "un langage commun au niveau des notions de base telles que texte, genre et discours (sans parler même de style ou registre). La signification de ces notions se distribue différemment selon les langues, pour ne citer que les recherches sur le discours de tradition française. Pour signaler une toute première différence, la description des énoncés écrits et oraux relève de différents appareils conceptuels". (MANGIANTE et RICHER, 2014 : 15)

3. Adaptation d'une méthode d'enseignement de FOS

Le français sur objectifs spécifiques est né du souci d'adapter l'enseignement du français à des publics souhaitant acquérir des capacités langagières et culturelles précises liées à leur discipline.

Les méthodes de FOS se distinguent par leurs aspects généraliste et thématique. Ces méthodes "à diffusion universelle doivent à la fois opérer une simplification et

permettre une complexification des démarches", leur structure modulable devait autoriser l'adaptation aux particularités des multiples contextes d'apprentissage." (PUREN, 1995 : 39)

L'adaptation d'une méthode de FOS est liée à quelques facteurs comme la formation et les antécédents professionnels des enseignants, leurs connaissances du domaine socio-professionnel des apprenants, les divers besoins d'apprentissage des apprenants, les ressources disponibles pour l'apprentissage… puisqu'il existe des manuels de FOS "dans lesquels il est possible de trouver une séquence de cours ou quelques documents à intégrer dans un programme de FOS relevant du même domaine, mais c'est une pratique qui reste marginale. L'enseignant doit donc construire lui-même son programme et son matériel pédagogique" (MANGIANTE et PARPETTE, 2004: 7)

Alors, pour bien adapter une méthode de FOS, les enseignants doivent prendre en compte de certains principes, pour que ce processus soit efficace, comme :

- Les objectifs de la méthode d'enseignement;
- Les résultats de l'apprentissage;

- Les difficultés et les manques concernant l'accueil et la préparation linguistique des apprenants;
- Les compétences culturelles et langagières spécifiques qui correspondent aux exigences du milieu professionnel;
- La conception des programmes de perfectionnement linguistique en direction du public varié;
- les stratégies d'enseignement et d'évaluation qui conviennent à un public précis. .
- Les enseignants sont responsables de mettre en œuvre leurs modifications et leurs applications.

Donc, la formation des enseignants est cruciale dans l'adaptation d'une méthode de FOS. Ceux-ci "bricolent, assemblent, empruntent dans les matériels pour élaborer leur propre itinéraire, selon leur propre perception des besoins du public, en fonction des contraintes institutionnelles et des rythmes d'apprentissage pour un public professionnel, l'utilisation de la réalité sociale et du vécu des apprenants comme point de départ et support de l'apprentissage est un puissant facteur de motivation et un catalyseur pour les interactions." (SAGNIER, 2002 : 4)

4. Stratégies d'adaptation d'une méthode de FOS

Les systèmes éducatifs se composent d'un ensemble d'éléments liés harmonieusement. Ces éléments sont cités dans (le CADRE, 2001 :13) comme suit :

a) L'identification des besoins;
b) La détermination des objectifs;
c) La définition des contenus;
d) Le choix ou la production de matériaux;
e) L'élaboration de programme d'enseignement/apprentissage;
f) Le choix des méthodes d'enseignement/apprentissage;
g) L'évaluation et le contrôle.

L'enseignant qui élabore les activités didactiques devrait, selon le CADRE :

- ✓ Privilégier les activités permettant la participation maximale des apprenants;

- ✓ Adapter les activités aux moyens techniques disponibles;
- ✓ Distinguer les savoir-faire langagiers des savoirs linguistiques;
- ✓ Favoriser les apports des apprenants dans le déroulement des activités. (*Ibid*, 13)

Donc, dans l'enseignement d'une langue étrangère, plus précisément celui de FOS, le centre du processus d'enseignement/apprentissage est l'apprenant. Cet apprenant ne doit pas être seul dans le processus de l'apprentissage, il a besoin des interactions avec ses partenaires, son professeur et son contexte pour apprendre; c'est l'enseignant qui va mener l'apprenant à communiquer en langue étrangère. Pour cela, il doit prendre en considération les spécificités de ses apprenants et les différences entre eux comme, par exemple, leur genre, leur niveau de connaissance, leur âge, leur langue maternelle, leur manière de penser, leur comportement en classe, etc… De même, il doit prendre en compte leurs besoins spécifiques et doit savoir les analyser.

5. Description de la méthode "Littérature en dialogue"

La littérature en dialogue s'adresse aux grands adolescents et adultes de niveau intermédiaire. L'objectif de ce livre est de faire découvrir des auteurs est leur œuvre grâce à une approche vivante et originale des textes. La littérature en dialogue contient 30 chapitres. Chaque chapitre est constitué de quatre pages : sur la première page, un dialogue extrait d'une œuvre littéraire (L'Enfant multiple de Andrée Chédid, Djinn de Alain Robbe-Grillet, Une enfance créole de Patrick Chamoiseau, Le Coté de Guermantes de Marcel Proust, Phèdre de Jean Racine, etc.) et une bibliographie de l'auteur. Sur la deuxième page, une explication de l'extrait avec repérage des éléments du discours. Sur les deux dernières pages, des activités de compréhension et d'expression orale et écrite. Chaque double page se termine par une rubrique "Culture" qui propose des réflexions sur les contenus culturels des textes. En fin de volume, les corrigés des activités constituent un complément efficace, permettant aux étudiants de travailler en auto-apprentissage.

6. Etude sur terrain

Nous avons élaboré un questionnaire composé de 12 questions. Nous avons distribué ce questionnaire, **traduit en arabe**, à 60 étudiants de la deuxième année aux différents départements à la Faculté des Lettres à l'Université de Tichrine.

Nous avons gardé l'anonymat dans ce questionnaire pour deux raisons : premièrement pour respecter les normes imposées dans l'élaboration des enquêtes et, deuxièmement pour que les enquêtés répondent au questionnaire sans gêne et avec plus de liberté.

Ce questionnaire a pour but principal d'identifier les besoins langagiers des apprenants et leur motivation. Cela nous aidera à mieux déterminer leurs besoins afin de trouver l'adéquation de ces besoins avec le contenu du livre proposé et les stratégies d'enseignement adoptées.

Il est à souligner que le choix des questions posées dans le questionnaire dépend des observations sur le terrain, des rencontres avec les étudiants de deuxième année aux divers départements et aussi des rencontres avec les acteurs du milieu professionnel.

Nous commençons par un point relatif au profil des étudiants, celle du **sexe** :

Le tableau montre que 30٪ des apprenants sont jeunes hommes alors que le reste est jeunes filles.

Sexe	Nombre traité	Fréquence
Jeune homme	19	30٪
Jeune femme	41	70٪
Total d'observations	60	100٪

1. Quel est votre niveau en langue française ?

Niveau en langue française	Nombre traité	Fréquence
Débutant	10	16٪
Intermédiaire	34	64٪
Avancé	10	16٪
Expert	6	4٪
Total d'observations	60	100٪

A la lecture du tableau, nous constatons que 16٪ des apprenants ont un niveau débutant en langue française, 64٪ ont un niveau intermédiaire, alors que le niveau de 16٪ est avancé et celui de 4٪ est expert.

2. Dans le domaine de votre spécialité, l'apprentissage d'une langue étrangère vous semble-t-il ….

Apprentissage d'une langue étrangère semble	Nombre traité	Fréquence
Très utile	29	43٪
Utile	13	30٪
Peu utile	10	17٪
Pas du tout utile	8	10٪
Total d'observations	60	100٪

Selon le tableau, l'apprentissage d'une langue étrangère semble très utile pour 43٪ des étudiants alors qu'il est utile pour 30٪ d'eux. 17٪ trouvent que cet apprentissage est peu utile mais le reste ne le trouve pas du tout utile.

3. De quel lexique avez-vous besoin ?

Besoin de quel lexique	Nombre traité	Fréquence
Termes techniques	37	56٪
Termes de description	9	16٪
Termes de	2	3٪

mouvement		
Formules figées	12	25٪
Total d'observations	60	100٪

Selon le tableau, 56٪ des étudiants ont besoin d'apprendre des termes techniques (noms), 16٪ veulent apprendre des termes de description (adjectifs). 3٪ ont besoin de termes de mouvement alors que 25٪ ont envie d'apprendre des formules figées.

4. Quelles thématiques préférez-vous étudier en langue française ?

Thématiques à étudier	Nombre traité	Fréquence
Thématiques scientifiques	6	3٪
Thématiques littéraires	6	3٪
Thématiques générales	13	27٪
Thématiques liées à votre spécialité	35	67٪
Total d'observations	60	100٪

Le tableau montre que 67٪ des apprenants préfèrent étudier des thématiques liées à leur spécialité, 27٪ préfèrent apprendre des

thématiques générales. 3٪ veulent étudier des thématiques scientifiques et le reste préfère des thématiques littéraires.

5. Quelle(s) compétence(s) cherchez-vous à développer dans les cours du français ?

Compétence (s) à développer	Nombre traité	Fréquence
Compréhension orale	6	10٪
Compréhension écrite	36	64٪
Expression orale	9	13٪
Expression écrite	9	13٪
Total d'observations	60	100٪

D'après le tableau, 64٪ des étudiants cherchent à développer la compétence de la compréhension écrite dans les cours du français, 10٪ cherchent à améliorer la compétence de la compréhension orale. Alors que, celle de l'expression orale est cherchée par 13٪, et celle de l'expression écrite est développée par 13٪.

6. Vous apprenez le français pour satisfaire des besoins :

Besoins en français	Nombre traité	Fréquence
Langagiers	20	34٪

Communicatifs	19	30٪
Civilisationnels	10	16٪
Professionnels	11	20٪
Total d'observations	60	100٪

En lisant le tableau, nous constatons que 34٪ des apprenants apprennent le français pour satisfaire des besoins langagiers, 30٪ ont des besoins communicatifs. Les besoins de 16٪ sont civilisationnels et les besoins de 20٪ sont professionnels.

7. A quoi le français vous servira-t-il ?

Le français sert à	Nombre traité	Fréquence
Réussir à l'examen	21	37٪
Lire des références de spécialité en français	10	16٪
Continuer vos études supérieures en France	20	34٪
Continuer vos études supérieures dans un pays francophone	9	13٪
Autre	0	0٪

Total d'observations	60	100٪

Selon le tableau, le français sert pour 37٪ des apprenants à réussir à l'examen, pour 16٪ à lire des références de spécialité en français. 34٪ trouvent que le français est utile pour continuer leurs études supérieures en France alors que le français sert pour 13٪ à continuer leurs études supérieures dans un pays francophone.

8- Combien la méthode "Littérature en dialogue" vous semble-t-elle utile pour satisfaire vos besoins ?

Utilité de la method	**Fréquence**	**Pourcentage**
Très utile	7	7٪
Utile	32	43٪
Peu utile	12	30٪
Pas du tout utile	9	20□
Total d'observations	60	100□

le tableau montre que la méthode semble utile pour 43٪ des apprenants, peu utile pour 30٪, très utile pour 7٪, alors qu'elle n'est pas du tout utile pour le reste.

9- Qu'est-ce qui est utile dans cette méthode ?

L'utile dans la méthode	**Fréquence**	**Pourcentage**
Lexique (mots)	19	30٪
Syntaxe (structures)	23	44٪
Morphologie (formes)	7	7□
Expressions (formules)	11	19٪
Total d'observations	60	100□

Pour 44٪ des apprenants, la syntaxe est utile dans la méthode, alors que le lexique est utile pour 30٪. 19٪ trouvent que les expressions sont utiles dans cette méthode, mais la morphologie est utile pour 7٪.

10- Quelle est la nature des textes donnés dans les cours ?

Les textes	**Fréquence**	**Pourcentage**
Courts et simples	8	10□

Courts mais difficiles	23	43٪
Longs et compliqués	10	17٪
Difficiles mais très utiles pour la spécialité	19	30٪
Total d'observations	60	100

Selon le tableau, 43٪ des apprenants trouvent que les textes donnés dans les cours sont courts mais difficiles, 30٪ les trouvent difficiles mais très utiles pour la spécialité. Ces textes sont longs et compliqués pour 17٪ des étudiants, tandis qu'ils sont courts et simples pour le reste.

11. Est-ce que la méthode "Littérature en dialogue" s'adapte à vos besoins ? Parlez brièvement.

La plupart des apprenants trouvent que la méthode "Littérature en dialogue" s'adapte à leurs besoins, mais il y manque d'autres supports pour pouvoir répondre aux besoins spécifiques des apprenants (comme l'oral, la grammaire…).

12. A votre avis, quels sont les moyens pour adapter la méthode à vos besoins ?

certains étudiants proposent d'alléger les textes longs et compliqués dans cette méthode, d'autres pensent qu'il faudrait proposer des activités supplémentaires qui s'adaptent aux besoins spécifiques des apprenants.

5. Discussion

Selon le questionnaire destiné aux étudiants, l'apprentissage du français apparait très utile pour leurs études et surtout l'apprentissage des thématiques et du lexique liés à leur spécialité.

Quant à leurs besoins, la majorité de ces étudiants apprend le français pour satisfaire des besoins langagiers; ceci vient dans le but de réussir à l'examen; conformément à leurs besoins, ils ont envie de développer la compétence de compréhension écrite en premier, puis vient l'expression écrite.

D'autre part, les étudiants expriment leurs points de vue par rapport au manuel "Littérature en dialogue" : ils le trouvent bien choisi car il est utile pour leurs études d'autant plus que ses exercices sont scientifiques et divers ; il a une richesse du

lexique adapté à leur spécialité et, ses textes sont utiles pour la spécialité bien qu'ils soient difficiles pour certains parmi eux.

Alors les points à travailler davantage dans le manuel se trouvent au niveau de la difficulté des textes et au niveau de l'absence de l'oral dans cette méthode. C'est à l'enseignant de proposer des activités supplémentaires (comme l'oral, la grammaire…) capables de mieux exploiter la méthode en question.

Ce qui importe également, c'est l'importance du rôle de l'enseignant dans la passation du message et le choix de la méthodologie et les stratégies adoptées dans l'utilisation de la méthode imposée. L'enseignant devrait donc connaitre les différents aspects de la méthode et utiliser les différents outils et matériaux didactiques pour répondre aux besoins de ses étudiants. C'est à lui que revient la tâche d'évaluer les contenus linguistiques, extralinguistiques, méthodologiques de la méthode pour un meilleur enseignement de FOS.

Conclusion

Nous constatons que, pour bien adapter une méthode de FOS, il est plus intéressant d'orienter davantage l'enseignement du

français vers un enseignement fonctionnel et à mettre cela en action dans la pratique de classe, en partant de l'analyse des besoins langagiers et de la définition des objectifs pédagogiques de l'apprentissage du français. C'est pourquoi nous avons réfléchi à cette question concernant l'adaptation de la méthode "Littérature en dialogue" proposée aux apprenants de deuxième année à la Faculté des Lettres à l'Université de Tichrine.

Cette recherche nous a permis de déterminer les besoins des apprenants, d'après l'analyse d'un questionnaire qui leur est adressé.

Par le croisement des réponses des apprenants, nous avons pu identifier les besoins des apprenants, les objectifs d'enseignement ainsi que les points à améliorer dans cette méthode.

Cela nous a permis d'insister sur le rôle de l'enseignant qui doit prendre en compte les besoins de ses apprenants et proposer des activités supplémentaires pour remplir les points faibles déjà trouvés dans la méthode.

Enfin, il nous semblerait très nécessaire, dans l'avenir, d'étudier toutes les méthodes de FOS qui existent sur le marché et en

sélectionner les méthodes les plus adaptées aux besoins des étudiants syriens, selon leurs diverses spécialités.

Bibliographie

ALDIAB, R. *Les besoins langagiers des apprenants du Master " Restauration du patrimoine ". Analyse du discours didactique dans les cours de FOS*, Mémoire de Master linguistique, Université de Damas, 2012.

BAILLY, D. *Didactique de l'anglais (1) - Objectifs et contenus de l'enseignement*. Paris, Nathan, 1997.

BARBOT, M. *Les auto-apprentissages*. Collection Didactique des Langues Etrangères, CLE International, 2000.

BINON, J. et VERLINDE, S. "Comment le FOS s'est profilé dans la didactique du FLE : de la formation d'enseignants à l'université à la conception d'un dictionnaire du français des affaires". Dans *Y a-t-il un français sans objectif(s) spécifique(s)?* Les cahiers de L'ASDIFLE, n°14, 2003.

CHALLE, O. *Enseigner le français de spécialité*, Paris, Economica, 2002.

CHEVAL, M. et **PAIRON, F.** Les établissements culturels à l'étranger et la formation de publics spécialisés : concevoir un programme de français de spécialité. Dans *Y-a-il un français sans objectifs spécifiques ?, Les cahiers de l'ASDIFLE*, 29ième rencontre, Paris, Mars 2002, p9-16.

CUQ, J.-P. et GRUCA, I. *Cours de didactique du français langue étrangère et seconde*, Paris, PUG, 2005.

DAOUADJI, M. *Les difficultés d'apprentissage chez les élèves de 5ème année primaire*, Mémoire de Master, Université Abdelhamid Ibn Badis Algérie, 2012.

FATTA, A. *Les difficultés d'apprentissage du français langue étrangère par des apprenants d'origine saoudienne*, Université Roi Saoud, 2011.

HIRSCHHORN, M. *L'ère des enseignants*, Paris, PUF, 1993.

HOUSSAYE, J. *Le triangle pédagogique*, Berne, P.lang, 1988.

LANE, H.-L. Programmed learning in second language. In GLASER R. (ED.) Teaching machines and programmed learning, Vol.II. Washington, National Education Association of The United States, 1965. p249-301.

Le Cadre européen commun de référence pour les langues – Apprendre, Enseigner, Evaluer (CECRL), le Conseil de l'Europe, 2001.

LEGENDRE, R. *Dictionnaire actuel de l'éducation*, Guérin, 1993 .

LEHMANN, D. *Objectifs spécifiques en langue étrangère*, Paris, Hachette, 1993.

MANGIANTE, J.-M.et PARPETTE, C. *le Français sur Objectifs Spécifiques: de l'analyse des besoins à l'élaboration d'un cours*, Paris, Hachette, 2004.

MOIRAND, S. *Enseigner à communiquer en langue étrangère*, Paris, Hachette, 1990.

MOURLHON–DALLIES, F. *Enseigner une langue à des fins professionnelles*, Paris, Didier, 2008.

PELPEL, P. *se former pour enseigner*, éd Dunod. Hors collection,2005, 3èmeédition.

RENARD, R. *Méthode structuro-globale audiovisuelle*, Paris, Didier, 1965.

RENARD, R. *La méthodologie SGAV d'enseignement des langues*, Paris, Didier, 1976.

RICHTERICH, R. *Besoins langagiers et objectifs d'apprentissage*, Paris, Hachette (coll. F), 1985.

SAGNIER, c. *Pour un enseignement stratégique de la présentation orale en français des Affaires : présentation d'un modèle didactique,* Congrès Annuel de l'American Association of Teachers of French, Boston, 2002.

TAUZIN, B. "Outils et pratiques du FOS dans l'enseignement, la formation d'enseignants, les examens et l'édition", *table ronde dans Les Cahiers de l' ASDIFLE –y-a-t-il un français sans objectif(s) spécifique(s) ?*, n°14, 2003 .

أثر الفعل المبني للمجهول في أسلوب الشرط، وتأثره به

(شعر المتنبي نموذجًا)

إعـداد الطالبة: هبـــة الأقـرع* الإشراف: أ. د. عبد الفتاح محمد**

ملخص البحث:

هذا البحث يتناول بالدراسة أثر الفعل المبني للمجهول في التركيب الشرطي وتأثره به، وذلك في مدونة شعرية كان لها من الاهتمام والعناية ما ندر أن تحظى بهما مدونة أخرى في الشعر العربي، تلك هي مدونة أبي الطيب المتنبي، أمَّا أثر هذه الأفعال فيتجلى في كونها جزءًا من هذا التركيب، وأكثر ما تكون فعل الشرط، وقلَّ أن تكون في جملة جواب الشرط، وفي كونها أكثر إيحاء من الفعل المبني للمعلوم، وأما تأثر الفعل المبني للمجهول بأسلوب الشرط، فأكثر ما يتجلى في الترابط بين مكونات هذا الأسلوب، وفي دلالة الفعل على الزمن؛ فقد يكون الفعل ماضيًا في اللفظ، ودون ذلك في المعنى، كما يتجلى في اشتراك الفعل في وحدة دلالية مركبة؛ ذلك أنَّ الأصل في استعمال (إذا) أن تدخل على الذي تيقن وقوعه أو رجح، وأنَّ الأصل في (إنْ) أن تدخل على المشكوك فيه، وأنَّ (لو) تنفذ إلى المحال. وأمَّا العينة التي تم استقراؤها ودراستها وتحليلها، فقد كانت نحو خمسين تركيبًا شرطيًّا تصدرت بـ (إذا)، أو بـ (لو)، أو بـ (إنْ). جرى كل ذلك وفق هدفين مهمين هما ربط هذا البحث بكفاءة الشاعر في الإفادة من القيمة التعبيرية للأسلوب الشرطي بكل مكوناته ولا سيما الأفعال المبنية للمجهول، وربطه أيضًا بكفاية اللغة العربية، وهي من اللغات المتفردة بظاهرة البناء للمجهول.

الكلمات المفتاحية: المدونة، أسلوب الشرط، الفعل المبني للمجهول.

* طالبة دراسات عليا، قسم اللغة العربية، الدراسات اللغوية، كلية الآداب، جامعة حماة.

** أستاذ فقه اللغة وعلوم العربية، عضو الهيئة التدريسية، كلية الآداب، جامعة حماة.

- **Research Summary:**

This research deals with the study of the effect of the passive verb on the conditional composition and its influence on it, in a poetic code that had the attention and care that is rarely obtained by another code in Arabic poetry, this is the blog of Abu Al-Tayyib Al-Mutanabi.This composition, and more often it is the verb of the condition, and less often it is in the whole response to the condition, and in being more suggestive than the verb that is the first known, and as for the passive verb affected by the conditional method, what is most evident is the interconnection between the components of this method، And the verb signification of time; The verb may be past in expression, without that in meaning, as it manifests itself in the participation of the verb in a complex semantic unit; This is because the basic principle in using (if) is that it enters on the one who is certain that it has occurred or is more likely, and that the rule in (if) is that it enters the doubtful, and that (if) it penetrates to the placeholder. As for the sample that was extrapolated, studied and analyzed, it was about fifty conditional structures topped by (if), (if), or (if). All this was done according to two important goals, namely linking this research with the poet's competence in making use of the expressive value of the conditional style with all its components, especially passive verbs, and linking it with the adequacy of the Arabic language, which is one of the unique languages with the phenomenon of construction for the passive voice.

Key words: blog, subjunctive style, passive voice.

المقدمة:

هذا البحث يتكون من ثلاث مسائل أساسية؛ أما الأولى: فهي مجموعة القضايا التي تشكل الإطار النظري للبحث، وهي: مشكلة البحث وأهميته، وفرضياته وحدوده وأهدافه، ومنهجه، وأهميته الفعل المبني للمجهول، وأبرز الجهود التي تناولته. وأما الثانية: ففيها بسط القول في عينة الفعل المبني للمجهول في مدونة المتنبي الشعرية، التي كان لها أثر في أسلوب الشرط وذلك بعد كلام موجز على شعر المتنبي أهميةً ورواية وتناولاً. وأما الثالثة: فهي رصد أثر الفعل المبني للمجهول في أسلوب الشرط، وتأثره به. وفيما يأتي بيان القول في هذه المسائل.

مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه:

يسعى البحث إلى العناية بالفعل المبني للمجهول وتبيان أثره في الأسلوب المذكور آنفًا وتأثره به بوصفه عينة مستخلصة من شعر المتنبي، وبوصفه أيضًا قيمةً تعبيريةً، وكفايةَ لغة، وكفاءةَ شاعر.. ولم أجد في حدود اطلاعي من كان له عناية بهذه الأمور، فهذا الأسلوب كان يمثِّلُ له عادة بالفعل المعلوم، ولم يُلتفت إلى التمثيل له بالفعل المبني للمجهول، ولا إلى صلته به، ولا إلى أثره فيه، ولا إلى تأثره به إلا فيما ندر[1].

وتتجلَّى أهميَّة البحث في أمورٍ كثيرة، منها استخراج الأفعال المبنية للمجهول من شعر المتنبِّي بوصفها العيِّنة الّتي اتخذها البحث ميداناً له استخراجاً قائماً على الاستقراء والتقصِّي، ورصد كفاية العربية وكفاءة المتنبِّي في الإفادة من هذه الأفعال في أسلوب الشرط، وكيفيّة استعمال تلك الأفعال في أبيات المتنبِّي سياقياً وأدائياً.

فرضياته وحدوده وأهدافه:

يفترض البحث أن أفعالاً مبنية للمجهول صاحبت أسلوب الشرط، وكانت مكونًا أساسيًا فيه، وذلك في المدونة التي سبق ذكرها، تلك الأفعال أنتجتها اللغة السياقية. واستقراء تلك الأفعال فيه ودراستها وتحليلها للوقوف على خصائصها هو من أهداف البحث.

[1] ينظر: بن الخباز، توجيه اللمع: لأحمد بن الحسين، تح أ.د. فايز زكي محمد دياب، القاهرة 2002م ص369

كما يفترض البحث أن العربية غنية بظاهرة البناء للمجهول، وهنا يستوقفنا سؤال مفاده: هل أفاد المتنبي من تلك الظاهرة في مدونته الشعرية؟ وتبيان مدى تلك الإفادة غنى أو فقرًا هو هدف ثان لهذا البحث.

كما يفترض البحث أن إسهام الأفعال المبنية للمجهول في أسلوب الشرط – شأنه شأن الأساليب الأخرى – يُدخل اللغة في حراك يكشف عن حيوية اللغة العربية، وينعكس ذلك في دلالة تلك الأفعال، فالتركُّبُ يلقي بظلاله على المكونات التي تركب منها من حيث الربط والزمن والصرف والنحو والدلالة.

كذلك يفترض البحث أن دراسة هذه الظاهرة في هذا الأسلوب تعطي فكرة نسبية عن حصيلة المتنبي من ظاهرة البناء للمجهول مفرداتٍ، وقواعد، وأساليب، وقيمًا تعبيرية، وفنية، وجمالية، وفي ضوء هذا يُطرح سؤال مفاده: ما حظُّ تلك الحصيلة من الكفاءة؟ وهذا هدف ثالث يسعى البحث إلى التدليل عليه بما يسعف به الوسع.

منهجه وإجراءاته:

البحث يتوسل المنهج اللغوي الاستقرائي الوصفي التحليلي التفسيري، ويفيد من المنهج الإحصائي سعيًا للوصول إلى مبتغاه. فهو منهجٌ لغويّ لأنّ مداره ظاهرة لغويَّة في شعر المتنبِّي. وهو منهج استقرائي؛ إذ لا بدّ من استقراء الأفعال المبنية للمجهول التي صاحبت أسلوب الشرط في شعر المتنبِّي، ولا بد من إحصائها، لتبيان نسبتها من مجمل الأفعال المبنية للمجهول في شعره. وهو منهجٌ وصفي؛ لأنّه يُعنى بتوصيف الأفعال زمنًا، وقواعد صرفية وتركيبية، ودلالات، وانتظامًا في أسلوب لغوي. بعد ذلك يأتي التفسير الّذي يسعى إلى تبيين الأفعال المستعملة في إطارها السّياقي، لقياس كفاية العربيَّة في الوفاء بمتطلّبات التعبير، ولرصد كفاءة الشّاعر الّذي ملأ الدنيا وشغل النّاس؛ فقد كان أحد أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكناً باللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية ولا ريب في أن بلاط سيف الدولة بمن اجتمع إليه من أهل العلم بالعربية وتراثها قد ترك آثاره في المتنبي وفي شعره بما كان يدور من مناقشات وحوارات واتهام بالسرقات الأدبية. وقد وصف بأنه نادرة زمانه،

وأعجوبة عصره، وظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحي للشعراء والأدباء. وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. وتدور معظم قصائده حول مدح الملوك[1].

الجهود السابقة في ظاهرة البناء للمجهول:

جهود وافرة كانت لها عناية بالفعل المبني للمجهول، ويمكن منهجيًّا تصنيف تلك الجهود في أقسام ثلاثة:

الأول – يشمل كتبَ النحو التي تناولت مجمل المقولات النحوية، وخصصت مبحثًا خاصًا للفعل المبني للمجهول، وهي من الكثرة بمكان، نمثل لها (بشرح المفصَّل) لابن يعيش، و(شرح ألفية ابن مالك) لابن الناظم، و(أوضح المسالك) لابن هشام، وتكاد تتفق هذه الكتب على تناول أفكار محدَّدة لمنازع تعليمية؛ وقد تركت ألفيَّةُ ابن مالك آثارَها الواضحة في كثير منها، ولا سيما في تناول مقولاتها، وكذا الحال في تناول الفعل المبني للمجهول فهي لا تكاد تتعدى الكلام على تعريفه، وصوغه، وعمله، وأغراض طي الفاعل، وما ينوب عنه، والعناية بالمفعول الذي أصبح عمدة في بناء جملة المبني للمجهول بعد أن كان فضلة في جملة المبني للمعلوم[2].

والثاني: الأبحاث المعاصرة التي نشرت في مجلات علميَّةٍ محكَّمة، وهذه الأبحاث هي أكثر انعتاقًا من سابقتها، ولكل منها خصوصية في التناول سعيًا لتقديم إضافة علمية في جزئيات من هذه الظاهرة لا تخرج عن السمات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية لها، إلا إلى قضايا ذوات صلة بالظاهرة من تأصيل، ومصطلحات ومعجمية، أمثِّل لهذه الأبحاث بما يأتي:

---

[1] ينظر: بلووافي، حليمة: النقد اللغوي القديم عند العرب، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، والجبوري، رائد: التوظيف البلاغي للتجنيس والمشاكلة في شعر المتنبي، جامعة ديالي، العراق، 2014

[2] ينظر: ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل، عالم الكتب بيروت 7/ 69 وما بعدها. وابن الناظم، بدر الدين محمد، شرح ألفية ابن مالك، تح: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ص 231 وما بعدها. وابن هشام، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، أوضح المسالك: دار الفكر، ص 255.

- (التعجب من فعل المفعول بين المانعين والمجيزين)، بحث لسليمان العايد[1]. تناول فيها قضية صرفية إشكالية تدور في فلك أسلوب التعجب وصلته بالفعل المبني للمجهول، وناقش فيها أقوال المجيزين والمانعين، وأورد أمثلة كثيرة للصيغ التي ارتضتها العربية في الدلالة على التعجب المتعلق بالفعل المبني للمجهول.
- (التغيرات الصوتيَّة في المبني للمفعول)، بحث للدكتور إبراهيم الشمسان أبي أوس[2]، ويبحث فيه التغيرات التي تحدث لأفعال ظاهرة البناء للمجهول الماضية والمضارعة بصيغهما المختلفة، كما يبحث فيما ينتج عن التغيرات الصرفيَّة والصوتيَّة لهذه الأفعال من تشابه في بُناها الظَّاهرة.

– (الفعل المبني للمجهول في اللُّغة العربيَّة؛ أهميته، مصطلحاته، أغراضه)، بحث للدكتور عبد الفتَّاح محمّد[3]، تناول فيه أهمية الفعل عامة، والمبني للمجهول خاصة، وبيَّنَ أن الفعل مادة مهمة في بناء الجملة، وأنه من لوازم كل لغة راقية، وأن العربية غنية بمفردات الأفعال عامة، وبمفردات الأفعال المبنية للمجهول خاصة. كما رصد المصطلحات الدالة على هذه الظاهرة، في تطورها وشيوعها وكثرتها. وناقش الأغراض التي ذكرها أهل النحو، وأضاف إليها ما لاحظه أهل البلاغة واللغة والتفسير من دلالة الأفعال على التعدد والتعميم والاستمرار والتنبيه، وغيرها من أغراض.

– (المبني للمجهول بين اختزال البنية واسترسال المعنى)، بحث للدكتورة دليلة مزوز[4]، وأبرز ما يطرحه هذا البحث هو امتداد فروع تركيب المبني للمجهول لتتعلق مع القضايا النحوية من تعدد وإعراب واشتقاق وتصريف، ومن ثم الوقوف على الأدوار التركيبية والدلالية والتحويل واختزال البنية واسترسال المعنى.

---

[1] العايد، سليمان: بحث، التعجب من فعل المفعول بين المانعين والمجيزين، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، العددان 79،80، العام 1987م.

[2] الشمسان أبو أوس، إبراهيم: بحث، التغيرات الصوتيَّة في المبني للمفعول، مجلّة جامعة الملك سعود، العام 1992م،

[3] محمّد، عبد الفتَّاح: بحث، الفعل المبني للمجهول في اللُّغة العربيَّة، (أهميته، مصطلحاته، أغراضه)، مجلة جامعة دمشق، 1،2 للعام 2006م.

[4] مزوز، دليلة: بحث، المبني للمجهول بين اختزال البنية واسترسال المعنى، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، الجزائر،2009

والثالث: الرسائل الجامعية، وقد أُجريت في غير جامعة عربية، ومعلوم ما للرسائل الجامعية من حظوظ من الإشراف والتحكيم والتقويم، وذلك لتجاوز كثير الثغرات التي تتبدى في جهود الدارسين الجدد، وإذا كان المقام لا يسمح بالإحاطة بجميع ما أنجز منها، ولا بما اشتملت عليه، لأن هذا يضيق المقام به، فإنني اكتفي بعرض عناوين بعض منها للتدليل على عناية الدارسين في الجامعات العربية بهذه الظاهرة:

- صيغة البناء للمجهول في اللغة العربية، أصولها وتطورها، إعداد محمد محمود السيد حمودة[1].
- جملة الفعل المبني للمجهول في العربية إعداد شبانة حسن محمود[2].
- الفعل المبني للمجهول في سورة البقرة في ضوء الدراسات النحوية والنفسية إعداد مازن أحمد محمد حامد[3]

وخلاصة القول: إنَّ لهذه الظاهرة حضورها المشهود في العربية، وما تلك الجهود التي أشرنا إليها إلا دليل على أنها جديرة بالدرس لكثرة الجوانب التي تتبدى فيها ومنها. وما تزال هذه الظاهرة –على ما أعتقد– ميدانًا خصبًا ولا سيما في كثير من المدونات الشعرية لغناها بالدلالات السياقية التي تجعل اللغة منفتحة على آفاق رحبة ولا سيما في الحراك الدلالي الذي يترافق وأساليب العربية، ويأتي هذا البحث ضمن هذه العناية بتناول ظاهرة الفعل المبني للمجهول وأثره في واحد من أساليب العربية وفي مدونة شعرية كان لها أبلغ الأثر في الموروث الشعري العربي على ما يأتي بيانه في المسألة الآتية.

العناية بشعر المتنبي، وعينة البحث:

قبل الكلام على عينة البحث لا بد من الإشارة إلى الجهود التي تناولت مدونة المتنبي رواية وشرحًا وإعرابًا، ولا بد من الإشادة بها؛ فهي جهود قلما حظي بها شعر

---

[1] السيد حمودة، محمد محمود: صيغة البناء للمجهول في اللغة العربية، أصولها وتطورها، إشراف د. رمضان عبد التواب، مخطوط جامعة عين شمس رقم 26341

[2] شبانة، حسن محمود: جملة الفعل المبني للمجهول في العربية، بإشراف: د. نهاد الموسى، أطروحة (ماجستير)، الجامعة الأردنية، 1981

[3] حامد، مازن أحمد محمد: الفعل المبني للمجهول في سورة البقرة في ضوء الدراسات النحوية والنفسية، إشراف: د. زهير إبراهيم 2018

شاعر في العربية؛ ولها أبلغ الأثر في صون المدونة وفهمها وتبيان نحوها وصرفها وأساليبها ودلالات مفرداتها، وشرح أبياتها، وهذا يمدُّ الدارسين بما يعينهم على إجراء بحوثهم، ولعل من أبرز تلك الجهود ما يأتي:

– جهود ابن جني في (فسره)[1]، ويعدُّ هذا الشّرح هو المرجع الأساس للشروح كلها، وكان من نهج ابن جنّي فيه أنه تجاوز شرح ما ظنّه سهل الفهم، وكانت عنايته تتجه إلى الأبيات الّتي رأى في توضيحها ضرورة؛ يقول في مقدّمة (فسره): (وأشرح جميع ما يلتَبس من شعره)[2]. ولا بد من التعريج على جهوده في (فتحه الوهبيِّ)[3]، ففيه يفسّر أبيات المعاني وما يتّصل بها، وهي أبيات لا يُتاح لكثيرٍ من النّاس فهمها لغموض معناها، أو التواء صياغتها.

– وجهود أبي العلاء المعري في (معجز أحمد)[4] ويعدّ هذا العمل من أوفى الشّروح استقصاءً وإثباتاً لشعر المتنبِّي، إذ اتسم شرحه بصبغةٍ لغويَّة ناصعة، كما أجاد في تخريج المعنى وأفاد. وكذا جهوده أيضًا في (لامِعِهِ)[5]، وهو أثمن شروح المتنبي فائدة. وقد رتبه أبو العلاء على حروف الهجاء، وليس على ترتيب الديوان كما في (معجز أحمد)، وشرح فيه أبياتًا منتقاة من كل قصيدة، ولم يقدم لأي قصيدة بذكر مناسبتها كما فعل في (معجز أحمد).

وجهود أبي البقاء العكبريِّ في (تبيانه)[6] وقد جمع فيه من أقاويل الشرّاح الأعلام، كابن جنّي والمعريِّ وغيرهما. وقد ضمنه غريب الإعراب واللغات والدلالات.

---

[1] ابن جني، عثمان: الفَسْرُ، شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبِّي (ت: 392هـ)، تحقيق: د. رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2004م.

[2] الفسر 18

[3] ابن جني، أبو الفتح عثمان: الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي، تح د. رضا رجب، دار الينابيع ط 1

[4] (ت: 449هـ): معجز أحمد، تح: عبد المجيد دياب، دار المعارف، ط2، 1992م.

[5] المعري، أبو العلاء: اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تح: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل، الرياض؛ ط1، 1429هـ، 2008م.

[6] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله(ت: 616هـ): التبيان، تح: مصطفى السّقا ورفاقه، القاهرة، 1936م.

وجهود ناصيف اليازجي في (عَرفه)[1]، وهذا الشّرح له مذاقه الخاص لأسبابٍ منها إعجاب المؤلف–وهو شاعر–بشعر المتنبِّي، وهذا مما أعانه على إصابة القصد والإبانة عن مكنون المعاني.

وجهود البرقوقي في (شرحه)[2] ومزيّة هذا الشّرح أنّه اجتمع إليه مما في الشّروح من محاسن، مع شيءٍ من التهذيب والتنقيح، وبذلك توافر فيه ما لم يتوافر لأيِّ شرحٍ على حدته.

بقي أنّ أقول: هذا غيض من فيض من شّروح مدونة المتنبي، وفي بعض المصادر ما يغني عن الإفاضة في القول[3] وفيها زيادة لمستزيد.

نظرة إحصائية في العينة الإجمالية للفعل المبني للمجهول في شعره:

إن مقاربة العينة إحصائيًّا يتطلب تقديم معلومات عن مجمل مواضع الفعل المبني للمجهول في المدونة الشعرية للمتنبي، ومن ثم تقديم معلومات عما صاحب أسلوب الشرط من تلك الأفعال، ولعل الجدول الآتي يفي بالغرض الأول وهو الإحصاء الإجمالي، وقد جاء ثمرة استقراء ديوان المتنبِّي بشرح أبي البقاء العكبري، وفيه تصنيف للأفعال المبنية للمجهول جميعها من حيث زمنها، وأصولها:

الفعل الماضي	الفعل المضارع	فعل الأمر	مجموع الأفعال	عدد أصول الأفعال
243	327	لا يوجد	570	308

قراءة في الجدول: يتبين من هذا الجدول ما يأتي:

- يلاحظ فيه أن للأفعال المبنية للمجهول ماضيةً ومضارعة حضورًا وافرًا غير أن كفة المضارعة راجحة، وليس لنا أن نركن في اللغة السياقية إلى هذه الأرقام؛ ذلك أن زمن الفعل يتأثر بالأسلوب الذي انتظم فيه، فقد يكون الفعل ماضيًا في اللفظ دون المعنى وهذا هو الفعل إذا لحقه حرف الشرط نحو: (إنْ قام زيد جلس عمرو). وقد يكون ماضيًا في المعنى دون اللفظ وهو المضارع الذي دخلت عليه (لم) نحو: (لم

---

[1] اليازجي، ناصيف(ت: 1287هـ): العَرْفُ الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب، تح: عمر الطبّاع، دار الأرقم، بيروت، 1995م.

[2] البرقوقي، عبد الرحمن (ت: 1363هـ) شرح الديوان، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط2، 2012م.

[3] ينظر موقع: واحة المتنبي فقد ذكر فيه عشرات الشروح.

يفعلْ)، ويدل على أنه ماض في المعنى أنه يقال: (لم يقم زيد أمس)[1] أمر آخر يُلحظ في تأثر دلالة الفعل بالأسلوب الذي انتظم فيه، أن المضارع مشترك بين زماني الحال والاستقبال، فإذا تجرد من القرائن اللفظية والمعنوية حُمِلَ على الحال. والحَمْلُ على الحال أولى به من الاستقبال. ومن قرائن الاستقبال: السين وسوف وأن ولن وكي وإذن وإن الشرطية والأدوات التي تضمنت معناها.. ومن القرائن اللفظية المخصصة بالحال ما النافية، والساعة، والآن، ولام الابتداء[2] كما يغدو الفعل الماضي دالاً على المستقبل لدى اقترانه بـ (إذا) الشرطية على ما يأتي بيانه. حاصل الأمر أن الفعل المبني للمجهول يتفاعل زمنًا ودلالة والأساليب التي يكون مكونًا فيها، وأسلوب الشرط له أثره في تلك الأفعال.

- كما يدل الجدول على أنَّ فعل الأمر لاحظَّ له في ظاهرة البناء للمجهول، ومعلوم أن أفعال الأمر تسند إلى المخاطب، ولا سبيل إلى كتمانه أو إبهامه، أو طيِّهِ. وللعربية نهجها في الأمر مع ظاهرة البناء للمجهول فهي تتوسل لام الأمر مقترنة بالفعل المضارع المبني للمجهول تحقيقًا لهذه الغرض، نحو: (لِتُحْفظِ الوصيةُ).
- ويلاحظ أن الأصول التي أخذت منها هذه الأفعال أربت على ثلاثمئة أصل، وأن عدد الأفعال الذي بلغ (570) وهذان الرقمان لهما حسابهما وأهميتهما في حضور هذه الظاهرة في اللغة العربية عامة، وفي مدونة المتنبي خاصة. ولا سيما أن اللغات متباينة في الاحتفاظ بهذه الظاهرة فثمة لغات خلت منها، ولغات احتفظت بالنادر منها، والعربية تحتفظ بها على نحو متفرد[3] وبناء على هذا كله يمكن الخلوص إلى نتيجة تفيد أن الأفعال المبنية للمجهول في مدونة المتنبي الشعرية لها حضور مشهود تعكس غنى حصيلة الشاعر اللغوية، وكفاءته، كما تعكس كفاية اللغة العربية على الوفاء بمتطلبات التعبير، وهذا يتوافق مع نتائج بعض البحوث[4]

تصنيف الأفعال المبنيَّة للمجهول في مدونته من حيث الإسناد إلى:

---

[1] ينظر توجيه اللمع 100،101

[2] ينظر توجيه اللمع 100 وما بعدها

[3] ينظر: الفعل المبني للمجهول أهميته ومصطلحاته وأغراضه 25

[4] ينظر: الفعل المبني للمجهول أهميته ومصطلحاته وأغراضه 64

المفرد المذكر	والمفردة المؤنثة	والمثنى	وجمع المذكر	وجمع المؤنث	المجموع
367	158	3	25	17	570

يتبين من هذا الجدول:

- أن الإسناد إلى المفرد المذكر له الحظ الغالب من هذه الأفعال، وهذا يدل حضور وافر للمفرد المذكر في مدونة المتنبي، وفي هذا الحضور أمور، الأول: تأكيد مقولة أن المفرد في اللغة أصل للمثنى والجمع، وكثرة الاستعمال مما يميز الأصل من الفرع. والثاني: أن المتنبي له عنايته بالمفرد المذكر، والأبيات التي تم استقراؤها تشي أن أكثر ما يكون هذا في خطاب الممدوح والفردية والفرادة من لوازم المدح في المدونة الشعرية العربية على وجه العموم يتوسل بها الشاعر للتأثير في نفس ممدوحه طمعًا في قربه ونواله، والثالث: أن هيمنة الذكورية الفردية في المجتمع الذي عاش فيه المتنبي لها معادلها الموضوعي في مدونة المتنبي.
- جاء الإسناد إلى المفردة المؤنثة ثانيًا وقريبًا من نصف الإسناد إلى المفرد المذكر. وهذا يوافق ما جاء في قواعد اللغة العربية التي تجعل التذكير أصلاً، والتأنيث فرعًا عليه، ولا ريب في أن منطلق القاعدة هو الاستعمال كثرةً أو قلةً.
- وجاء الإسناد إلى المثنى أقرب إلى الندرة، وإذا كان إسناد الفعل المبني للمجهول في شعره إلى المثنى نادرًا، فإن إسناد المثنى إلى الفعل المعلوم في العربية له حظه الوافر من العربية، نراه في بيت شهير عتيق هو قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ** بسقط اللوى بين الدخول فحومل[1]

وفي لغة القرآن الكريم شواهد كثيرة، كما في سورة طه مثلاً، كقوله جلَّ جلاله:﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾[2]

- أما الإسناد إلى الجمع مذكرًا ومؤنثًا فهو إلى القلة أقرب. وهذا يدلل على تدني الروح الجمعية ولهذا التدني صدى في شعر المتنبي.

بقي أن نقول: إن تفاصيل أخرى تخصُّ أفعال هذه الظاهرة في مجملها من تجرد وزيادة، وصحة وإعلال، وهمز وتضعيف، لها نصيبها من الدرس في مقام غير هذا[1].

---

[1] القيس، امرئ: الديوان، 1/ 31

[2] طه 42، وما بعدها

أدلة كفاية وكفاءة:

وإذا كان لا بد من أدلة على كفاية العربية في هذه الظاهرة، وعلى كفاءة الشاعر، فإن الاستقراء دلَّ على حضور ملحوظ للظاهرة؛ ذلك أن ثمة أبياتًا تبرهن على ذلك، فالمتنبي استعمل ثلاثة أفعال مبنية للمجهول في البيت الواحد، وكان ذلك فيما يأتي:

1. إِذَا طَلَبُوا جَدْوَاكَ **أُعْطُوا وَحُكِّمُوا** ** وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الذي فِيكَ **خُيِّبُوا**[2]
2. وَإِذَا **مُطِرْتَ** فَلَا لِأَنَّكَ مُجْدِبٌ ** **يُسْقَى** الْخَصِيبُ **وَتُمْطَرُ** الدَّأْمَاءُ[3]
3. **يُعْطى فَتُعْطَى** مِنْ لُهى يَدِهِ اللُّهى ** **وَتُرَى** بِرُؤْيَةِ رَأْيِهِ الآرَاءُ[4]
4. وَلَعَمْري لَقَدْ **هُزِزْتَ** بِمَا **قِيـ** ** **ـلَ فَأُلْقِيتَ** أَوْثَقَ الْأَطْوَادِ[5]
5. الفاعِلُ الْفِعْلَ لَمْ **يُفْعَلْ** لِشِدَّتِهِ ** وَالْقائِلُ الْقَوْلَ لَمْ **يُتْرَكْ** وَلَمْ **يُقَلِ**[6]
6. وَنُصفي الذي يُكنى أَبا الحَسَنِ الهَوى**وَنُرضي الذي يُسمى الإِلَهَ وَلايُكنى[7]

وإنه لمن العجيب أن نجد ثلاثة أبيات للمتنبي اشتمل كل منها على أربعة أفعال مبنيَّة للمجهول وهي:

1. فَتىً كَالسَّحابِ الْجُونِ **يُخْشَى وَيُرْتَجَى** ** **يُرَجَّى** الْحَيا مِنْها **وَتُخْشَى** الصَّوَاعِقُ[8]
2. فَلَقَدْ **عُرِفْتَ** وَمَا **عُرِفْتَ** حَقِيقَةً ** وَلَقَدْ **جُهِلْتَ** وَمَا **جُهِلْتَ** خُمولا[9]
3. إِنْ **كُوتِبُوا** أَوْ **لُقُّوا** أَوْ **حُورِبُوا وُجِدُوا** ** في الْخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالهَيْجَاءِ فُرْسَانا[10]

تلك تسعة أبيات حوت ثلاثين فعلا مبنيًا للمجهول أصولها نحو عشرين، وهي أمثلة تدل على غنى في حصيلة المتنبي من مفردات العربية يستخدمها باقتدار في غرض

---

(1) هذا البحث جزء من رسالة علمية تعرض لقضايا كثيرة في ظاهرة البناء للمجهول، وهي قيد الإنجاز.

(2) التبيان: 184/1

(3) التبيان: 30/1

(4) التبيان: 25/1

(5) التبيان: 32/2

(6) التبيان: 37/3

(7) التبيان: 166/4

(8) التبيان: 346/2

(9) التبيان: 244/3

(10) التبيان: 227/4

المدح، وهو غرض صارخ في مدونة المتنبي لعل أهم أهدافه التأثير في نفس الممدوح لأن الإنسان كائن عاطفي يتأثر بما يسمع، وهي شواهد أيضًا تدل على ثراء العربية. ولا ريب في أن البحث في القيم التعبيرية والفنية والجمالية يشي بما لدى المتنبي من اقتدار على التصرف بمفردات اللغة بما فيها من أفعال قدَّر أن بناءها للمجهول يحقق المراد. ففي قوله:

إِذَا طَلَبُوا جَدْوَاكَ **أُعْطُوا وَحُكِّمُوا** ** وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الذي فِيكَ **خُيِّبُوا**

من الكفاءة ما هو جلي قوي فأسلوب الشرط الذي تتصدره (إذا) يصْرِفُ الفعلَ (طلبوا) إلى المستقبل، وجواب الشرط يفيد أنهم مُجابون إلى طلبهم، متمكنون مما نالوا؛ وإذا كان أهل اللغة يقررون أن (إذا) تدخل على المتيقن وقوعه، أو الراجح[1]، فإنَّ قرينة المدح توجه المعنى إلى يقين كرمه، وفي هذا مدح بكرم مستمر في كل حين وكل حال، وإذا كان الشطر الثاني قد اشتمل على تركيب شرطي تتصدره (إنْ) والأصل في استعمالها أن تدخل على المشكوك فيه والمستحيل[2]، فإن قرينة المدح توجه المعنى إلى استحالة بلوغ الناس الفضلَ الذي هو عليه الممدوح. وجدير بالذكر أن المتنبي استعمل (إذا) في معظم الحالات لغير المعنى الذي تستعمل له (إن) على ما يأتي بيانه، وهو في هذا يوافق النهج القرآني عند الجمع بين (إذا) و(إنْ) كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ... فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾[3]، ٱلْهَدْيِ﴾[3]، فالإحصار طارئ عارض ناسبه إنْ، والأمن هو الأصل فجاء فيما هو الأصل بـ (إذا)، بخلاف ما هو عارض طارئ[4].

وكفاءة المتنبي وكفاية العربية لا تقتصر أدلتها على الأفعال المبنية للمجهول، فثمة أدلة بينة على كفاءته باستعمال الأفعال المبنية للمعلوم، كما قوله:

---

[1] ينظر: عضيمة، محمد عبد الخالق: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث 169، 170

[2] سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1418 هـ، 1988م 1/ 433

[3] البقرة 196

[4] السامرائي، د. فاضل: معاني النحو، دار الفكر، عمان، ط1، 2000م 4/ 64

قَدَروا عَفَوا، وَعَدوا وَفَوا، سُئِلوا ** أَغنَوا، عَلَوا أَعلَوا، وَلَو عَدَلوا[1].

فقد اشتمل هذا البيت على تسعة أفعال مبنية للمعلوم، وعلى فعل واحد مبني للمجهول، وكل فعل منها مع المسند إليه يشكل جملة متكاملة وتأخذ الجمل بعضها برقاب بعض؛ فالجملة الثانية على التوالي نتيجة لما قبلها لأنها مسببةٌ عنها.

أما ما أعتقد أنه يفي بالطلب الثاني، أقصد تحديد العينة التي كانت فيها الأفعال المبنية للمجهول مكونًا أساسيًّا في أسلوب الشرط، فإن الجدول الآتي يقارب هذه الغاية، وذلك مع ثلاث أدوات للشرط:

الأسلوب	الأداة	العدد
الشرط – غير جازم	إذا	28
الشرط – غير جازم	لو	13
الشرط – جازم	إنْ	8
المجموع	3	49

قراءة في العينة:

بلغ عدد أفعال العينة 49 فعلاً من العينة الكلية البالغة 570 فعلاً، أي ما نسبته نحو 7.17%. ومما تقدم نستنتج أن الأفعال المبنية للمجهول تنتظم في أسلوب الشرط مع هذه الأدوات بنسبة معينة، وانتظامها يعني أنها تتفاعل معها تأثرًا وتأثيرًا، وأعتقد أن ملاحظة تفاعل هذه الأفعال مع الأساليب عامة ومع أسلوب الشرط خاصة أمر على درجة من الأهمية والخطورة. وهذا ما أسعى بيانه على قدر الوسع فيما يأتي:

الفعل المبني للمجهول وأثره في أسلوب الشرط وتأثره به:

– تعريف الأسلوب:

الأسلوب لغةً الطَّرِيقُ والوجهُ والمَذْهَبُ، والأُسلوب أيضًا: الفَنُّ، ويُجمع على أساليب، ويُقَالُ: أَخَذ فلانٌ فِي أَسالِيبَ من القَولِ أَي أفانِينَ منهُ[2]. وأما الأسلوب اصطلاحاً، فقد كان لأهل العلم فيه غير تعريف؛ قيل: (هو الضرب من النظم، والطريقة فيه)[3]. وقيل:

---

[1] التبيان 309/3

[2] ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3: (سلب)

[3] دلائل الإعجاز: 468، 469

هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، وقيل: هو طريقة التفكير والتصوير والتعبير[1]، وقيل: هو الفنُّ والطّريقة[2]. وهذه التعريفات تشير إلى الألفاظ وطريقة ترتيبها، وإلى المعاني وطريقة سردها. ويبدو لي أن التعريفات تُعنى بالمدونة، وليس فيها إشارة صريحة إلى المبدع، ولا ريب في أن للمبدع دوره في إرساء الأسلوب، وإلا فكيف نفهم تلك العبارة التي تعزى إلى هوفمان[3] وهي أن (الأسلوب هو الإنسان)؟ وقد قدَّروا أنها عبارة تحتمل التعميم بمعنى أنها ليست وقفًا على كتابة الأدب، بل هي تشمل كل ما يصدر عن الإنسان سواء من حيث التعبير عن انفعالاته، أو ردود أفعاله.

وليس لي أن أسترسل في قضايا كثيرة تخصُّ الأسلوب والأسلوبية، لأن ما في الكتب المصنفة لهذه الغاية يغني عن إعادة القول في قضايا كثيرة منها[4] لكن لا بد من التأكيد أن فهم العربية الحق ما هو بمعزل عن التبصر بأساليبها، وهي من الكثرة بمكان فقد أحصت بعض الدراسات الأكاديمية عشرات الأساليب؛ منها ما يخص الكلمة مفردةً، أو مركبة، ومنها ما هو وقف على البلاغة وفنونها؛ من إنشاء وخبر، وأمر ونهي، ومدح، وذم..[5]

---

[1] الشايب، أحمد: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط12، 2003م، ص44،45

[2] الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق عدنان درويش ورفيقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1988م، 83

[3] المفكر مراد هوفمان، المُولود عام 1931 في بافاريا بألمانيا، الدبلوماسي الألماني. رحل مراد هوفمان هذا العام تاركا خلفه إرثا فكريا غنيا حصل على شهادة البكالوريوس في القانون من جامعة "ميونخ"، والدكتوراه في القانون من جامعة "هارفارد" عام 1960، صحيفة الجزيرة، بحث د.خالد حنفي، 1/16/ 2020

[4] الأسلوبية، بيير جيرو، ترجمة منذر عياش، حلب، مركز الإنماء الحضاري ط1، عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، شكري عياد: مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري عياد: اتجاهات البحث لأسلوبي، صلاح فضل: علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، محمود عياد: الأسلوبية الحديثة: محاولة تعريف.

[5] ينظر: الأساليب العربية الواردة في القرآن الكريم وأثرها في التفسير من خلال جامع البيان للطبري، فواز منصر سالم الشاويش، ط2 ، 2015م، والأساليب العربية في القرآن من خلال كتب معاني القرآن وأثرها في التفسير، إياد بن موسى بن محمود إسماعيل.

الفعل المبني للمجهول وأسلوب الشرط:

انمازت العربية بأساليب قولية نظمية تفصح عن المراد، وأسلوب الشرط من لوازم العربية الأصيلة، وهو أسلوب لغوي بديع يتجلى فيه بليغ البيان. تعهده أهل العلم قديمًا وحديثًا بالدرس، وفصلوا القول في مقولاته من تعريف، وأدوات، وأحكام، وروابط، كما تم رصد مواضعه في نصوص كثيرة[1]. عرفه الجرجاني بقوله: (وقوع الشيء لوقوع غيره)[2]. وعناصر التركيب الشرطي التي تؤلفه هي: أداة الشرط، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط، وما يتفرع عن هذا النظم من تراكيب كثيرة متنوعة تقوم على التقديم والتأخير، والذكر والاكتفاء، وتغير زمن الفعل الذي يتصدر التعليق شرطًا وجوابًا. ولا تتم الفائدة إلا باجتماع الشرط والجواب[3]. أي هو نظم دلالي جمعي بمورد واحد يفهم بجزأيه المترابطين الشرط والجواب. ويشكل (أسلوب الشرط) أبرز مؤشر أسلوبي تركيبي، وأطلق بعض منظري الأسلوبية على الملامح الأسلوبية ذات الدلالة مصطلح (المؤشرات الأسلوبية)، وذلك لأنها عناصر لغوية تظهر في مجموعة سياقية محددة بنسب تتفاوت في معدلاتها كثرة وقلة من حالة إلى أخرى[4]

وجدير ذكره أن القرآن الكريم حافل بالجمل الشرطية، فهي من أهم أساليبه البليغة، التي لها أثرٌ بالغ في معاني الآيات، وتسهم إسهامًا كبيرًا في تفسير القرآن وتعرف معانيه ومقاصده[5]. وللمعاصرين جهودهم في هذا المجال ولاسيما الرسائل الجامعية[6].

---

[1] المسدي، عبد السلام: والطرابلسي، محمد الهادي: الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، الدار العربية للكتاب، تونس/1985م، والمعيبد، عبد العزيز علي الصالح: الشرط في القرآن الكريم، رسالة ماجستير مخطوطة بإشراف الدكتور على النجدي ناصف، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم /1369هـ.

[2] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني1413 هـ، 1992 م، بالقاهرة / ص 189

[3] ينظر: حميدي، د. كريم حمزة: عوارض التركيب الشرطي في نهج البلاغة دراسة في الخصائص التركيبية لاستعمال إن الشرطية 2019 / ص 10

[4] ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته / 219.

[5] ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم / 169، 170

[6] سلقيني، سلوى: الجملة الشرطية في القرآن الكريم، دراسة نحوية تحليلية على سورة النساء: رسالة ماجستير، إشراف د.عيسى بودوخة، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر 2019،2018م

والجمل، وفهد محمد ديب: أدوات الشرط غير الجازمة في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير.

معلومات عامة عن أسلوب الشرط في شعر المتنبي:

تم استقراء أسلوب الشرط لثلاث أدوات وهي: (إذا، ولو، وإنْ). وقد صاحبها الفعل المبني للمجهول في تسعة وأربعين موضعًا وكان فيها جميعًا فعلَ الشرط، ولعل أهم سمات تلك الأفعال ثلاثة أمور: أولها ذاك القدر من الإبهام ناتج من طبيعة التركيب، وفي الإبهام محاكاة لطبيعة الأحداث التي تعبر عنها تلك الأفعال. ثانيها أن طبيعة الإسناد في جملة المبني للمجهول تختلف عنها في جملة المبني للمعلوم فالذي كان فضلةً في جملة المبني للمعلوم غدا عُمْدةً في جملة المبني للمجهول. ثالثها أن العناية انصرفت من الفاعل إلى نائب الفاعل.

- يوضح الجدول الآتي: حظ كل أداة، وعدد صيغ الأفعال، وعدد المجرد منها والمزيد، وتوزعها بين السالم والمعتل، والمضعف والمهموز:

أسلوب الشرط		إذا	لو	إن
		29	13	8
أصل الصيغ	استفعل	1		
	أفعَل	3	3	
	فاعَل	2		2
	فعَل	21	4	3
	فعِل	1		1
	فعَّل	1	6	2
التجرد والزيادة	ثلاثي مجرد	22	4	4
	ثلاثي مزيد فيه حرف	6	9	4
	ثلاثي مزيد فيه ثلاثة أحرف	1		
الصحيح	السالم	19	8	3
	المضعف	2		2
	المهموز	2		
المعتل	الأجوف	2	3	1
	المثال		1	
	الناقص	4	1	2

يلاحظ في هذا الجدول ما يأتي:

❖ أن أكثر أدوات الشرط استعمالاً إذا، يليها لو، وأقلها إنْ.

- ❖ استعمل المتنبي في هذه العينة الفعل المبني للمجهول مجردًا ومزيدًا، صحيحًا ومعتلاً، غير أن ثمة تفاوتاً في الاستعمال؛ فقد كانت الغلبة للمجرد على المزيد، وللصحيح على المعتل. وللسالم على المضعف والمهموز. ولا ريب في أن هذا يعكس طبيعة الاستعمال العامة للعربية.
- ❖ حظ الفعل المزيد فيه ثلاثة أحرف اقتصر على الندرة فجاء في موضع واحد.
- ❖ غابت بعض الصيغ عن الاستعمال مع هذه الأدوات ولا سيما الرباعية والخماسية منها.

الفعل المبني للمجهول المصاحب لأداة الشرط (إذا):

هذه الفقرة تتبع أثر الفعل المبني للمجهول في جملة الشرط وتأثره بهذا الأسلوب وذلك فيما جاء منها في شعر المتنبي؛ وقد كانت نتيجة الاستقراء وفق الجدول الآتي مع أداة الشرط إذا، لكن بعد أن ألقي الضوء على الأداة إذا.

الأداة إذا:

هذه الأداة في اللغة السياقية تتعدد استعمالاتها؛ فهي تأتي للمفاجأة فتختص بالجمل الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال[1]، وهي بهذا الاستعمال لا تدخل في نطاق هذا البحث. وتكون لغير مفاجأة، والغالب أن تكون ظرفًا للمستقبل مضمنة معنى الشرط – وعلى هذا مدار البحث – وتختص بالدخول على الجملة الفعلية، ويكون الفعل بعدها ماضيًا كثيرًا ومضارعًا دون ذلك، ولا تعمل (إذا) الجزم إلا في ضرورة، وقد تخرج عن كل من الظرفية والاستقبال ومعنى الشرط[(2)]، والتركيب الشرطي جملتان تربط بينهما الأداة، (وعلى قولهم تصير الجملتان واحدة)[(3)] ويمكن بتعبير معاصر أن أقول: إن أسلوب الشرط يحيل دلالات المفردات فيه إلى وحدة دلالية مركبة.

العينة:

---

(1) مغني اللبيب 120

(2) مغني اللبيب 127

(3) مغني اللبيب 131

تم استقراء الأفعال المبنية للمجهول المصاحبة لـ (إذا) الشرطية، فكان الجدول الآتي:

البيت	الفعل	الأداة	المصدر
مِنها إذا يُثْغَ لَهُ لا يَغزَلِ ** مُؤجَّدِ الفِقرَةِ رِخوِ المَفصِلِ	يُثْغَ	إذا	3/203
مَضى وَبَنوهُ وَانفَرَدتَ بِفَضلِهِم ** وَأَلِفٌ إِذا ما جُمِّعَت واحِدٌ فَرِدُ	جُمِّعَت	إذا + ما	1/381
ثِقالٍ إِذا لاقَوا خِفافٍ إِذا دُعوا ** كَثيرٍ إِذا شَدّوا قَليلٍ إِذا عُدّوا	دُعوا	إذا	1/373
إِذا ذُكِرَت مَواقِفُهُ لِحافٍ ** وَشيكَ فَما يُنَكِّسُ لِانتِقاشِ	ذُكِرَت	إذا	2/215
أَنا صَخرَةُ الوادي إِذا ما زُوحِمَت ** وَإِذا نَطَقتُ فَإِنَّني الجَوزاءُ	زُوحِمَت	إذا+ ما	1/15
نَفديكَ مِن سَيلٍ إِذا سُئِلَ النَدى ** هَولٍ إِذا اِختَلَطا دَمٌ وَمَسيحُ	سُئِلَ	إذا	1/253
فَإِذا سُئِلتَ فَلا لِأَنَّكَ مُحوَجٌ ** وَإِذا كُتِمتَ وَشَت بِكَ الآلاءُ	سُئِلتَ	إذا	1/30
وَإِذا صُحِبتَ فَكُلُّ ماءٍ مَشرَبٌ ** لَولا العِيالُ وَكُلُّ أَرضٍ دارُ	صُحِبتَ	إذا	2/88
بَيضاءُ تُطمِعُ فيما تَحتَ حُلَّتِها ** وَعَزَّ ذَلِكَ مَطلوباً إِذا طُلِبا	طُلِبا	إذا	1/111
إِذا عُدَّ الكِرامُ فَتِلكَ عِجلٌ ** كَما الأَنواءُ حينَ تُعَدُّ عامُ	عُدَّ	إذا	4/76
ثِقالٍ إِذا لاقَوا خِفافٍ إِذا دُعوا ** كَثيرٍ إِذا شَدّوا قَليلٍ إِذا عُدّوا	عُدّوا	إذا	1/373
حَتّى إِذا عُقِدَت فيهِ القِبابُ لَهُ ** أَهَلَّ لِلَّهِ باديهِ وَحاضِرُهُ	عُقِدَت	إذا	2/118
إِذا قيلَ رِفقاً قالَ لِلحِلمِ مَوضِعٌ ** وَحِلمُ الفَتى في غَيرِ مَوضِعِهِ جَهلُ	قيلَ	إذا	3/187
حَتّى إِذا قيلَ لَهُ نِلتَ اِفعَلِ ** إِفتَرَّ عَن مَذروبَةٍ كَالأَنصُلِ	قيلَ	إذا	3/207
وَما قُلتُ مِن شِعرٍ تَكادُ بُيوتُهُ ** إِذا كُتِبَت يَبيَضُّ مِن نورِها الحِبرُ	كُتِبَت	إذا	2/157
فَإِذا سُئِلتَ فَلا لِأَنَّكَ مُحوَجٌ ** وَإِذا كُتِمتَ وَشَت بِكَ الآلاءُ	كُتِمتَ	إذا	1/30
أَينَ ذي الرِقَّةُ الَّتي لَكَ في الحَر ** بِ إِذا اِستُكرِهَ الحَديدُ وَصَلّا	استُكرِهَ	إذا	3/125
وَإِذا مُدِحتَ فَلا لِتَكسِبَ رَفعَةً ** لِلشاكِرينَ عَلى الإِلَهِ ثَناءُ	مُدِحتَ	إذا	1/30
وَإِذا مُطِرتَ فَلا لِأَنَّكَ مُجدِبٌ ** يُسقى الخَصيبُ وَتُمطَرُ الدَأماءُ	مُطِرتَ	إذا	1/30
بِأَرضٍ تَهلِكُ الأَشواطُ فيها ** إِذا مُلِئَت مِنَ الرَكضِ الفُروجُ	مُلِئَت	إذا	1/238
خُرسٌ إِذا نُودوا كَأَن لَم يَعلَموا ** أَنَّ الكَلامَ لَهُم حَلالٌ مُطلَقُ	نُودوا	إذا	2/335
أَجِزني إِذا أُنشِدتَ شِعراً فَإِنَّما ** بِشِعري أَتاكَ المادِحونَ مُرَدَّدا	أُنشِدتَ	إذا	1/291
تَحتَ العَجاجِ قَوافيها مُضَمَّرَةً ** إِذا تُنوشِدنَ لَم يَدخُلنَ في أُذُنِ	تُنوشِدنَ	إذا	4/213
وَسِرُّكُمُ في الحَشا مَيِّتٌ ** إِذا أُنشِرَ السِرُّ لا يُنشَرُ	أُنشِرَ	إذا	2/92
ثِيابُ كَريمٍ ما يَصونُ حِسانَها ** إِذا نُشِرَت كانَ الهِباتُ صِوانَها	نُشِرَت	إذا	4/169

إذا أُنعِلنَ في آثارِ قَومٍ ** وَإن بَعُدوا جَعَلنَهُمُ طِراقا	أُنعِلنَ	إذا	2/299
إذا نُكِبَت كِنانَتُهُ اِستَبَنّا ** بِأَنصُلِها لِأَنصُلِها نُدوبا	نُكِبَت	إذا	1/143
عَلَيكَ إذا هُزِلتَ مَعَ اللَيالي ** وَحَولَكَ حينَ تَسمَنُ في هِراشِ	هُزِلتَ	إذا	2/213

التحليل

بلغ عدد الأفعال في هذه العينة 28 فعلاً وقعت جميعها في جملة فعل الشرط، وكان النصيب الغالب منها للأفعال الماضية فقد بلغ عددها 26 فعلاً، واقتصر مجيء المضارع على فعلين، في قوله:

- (مِنها إذا **يُثغَ** لَهُ لا يَغزَلِ) يصف كلب صيد بأنه لا يتأثر بصوت الغزال، وبأنه قوي. والغريب ان المتنبي جعل (إذا) أداة شرط جازمة لفعل الشرط (يثغُ) الذي جزم بحذف حرف العلة، وجزم جواب الشرط (لا يغزَلِ)، وقد أشار العكبري إلى ذلك بقوله: (يغزلِ) جعله جوابًا لإذا لأنه شرط بها[1] والمتنبي في جعله إذا جازمة يتبع منهج من يجيز الجزم بها على قلة[2] وهذا من ضرائر لغة الشعر على ما مرَّ آنفًا.
- واستعمل الفعل المضارع المبني للمجهول في قوله: (إذا تُنوشِدنَ لَم يَدخُلنَ في أُذُنِ)، هنا ايضًا سلك مسلك الضرورة فلم يقرن الجواب (لم يدخلن) بالفاء الرابطة.
- ويبدو أن استعمال المتنبي للأفعال ماضية ومضارعة يتوافق ونهج لغة القرآن الكريم، (فقد وردت (إذا) في القرآن الكريم شرطية وظرفية في362 موضعًا منها 18 موضعًا وردت بالفعل المضارع، والبقية وردت بالفعل الماضي)[3].

– وفَصَل في موضعين بين الفعل الماضي الذي لم يسمَّ فاعله وبين (إذا) الشرطية التي ننفذ من خلالها إلى المستقبل بـ (ما) الزائدة. وهما قوله (إذا ما زُوحِمَت)، و (إذا ما جُمِّعَت). وقد ذهب النحاة إلى أن (ما) بعد (إذا) "تؤدي غرضين: الأوَّل إفادة الإبهام أو العموم، والثَّاني تفيد التوكيد"[4]، وعلى هذا فالتركيب الشرطي تتفاعل مكوناته لتسهم جميعها في توجيه الدلالة نحو الغرض المقصود. ولدى التدقيق في

---

[1] التبيان 3/ 203

[2] ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم 1/ 203

[3] معاني النحو 4/ 66

[4] معاني النحو 4/ 81

لغة القرآن الكريم تبين أن هذا النهج؛ أقصد اقتران إذا الشرطية بـ ما الزائدة جاء في إحدى عشرة آية؛ يعيننا منها ما اشتمل على أفعال مبنية للمجهول كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾[1]، وقوله ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾[2]، وجل الأفعال بعدها بصيغة الماضي، أما المضارع فلم يقع إلا في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾[3]، وقد دل البحث في دلالة (إذا) في هذه الآية على أن هذه الأداة خلصت للظرفية ولا شرطية فيها[4]. ويبدو أن الفراء يذهب إلى أن (إذا) إذا كان فيها معنى الشرط لا يكون بعدها إلا الماضي، أما ابن هشام فيقول: (إيلاؤها الماضي أكثر من المضارع)[5].

– وأداة الشرط المصاحبة (إذا) لها أثرها في التركيب الشرطي وكذا الحال مع (لو وإذا) ولهما أيضًا مع الأفعال المبنية للمجهول قسمة؛ فهي " أدوات تقوم بربط الجمل، لغرض تعليق حصول شيء بحصول شيء آخر؛ حيث تربط فعل الشرط بجوابه[6].

– وهي أيضًا لها أثرها في دلالة زمن الفعل كأن تقلب الماضي إلى الاستقبال، فقد وازنت بعض الدراسات بين أثر (إذا) وأثر (إذ) مثلاً فبينت أن (إذا) تصرف الفعل الماضي إلى المستقبل، وأن (إذْ) تصرف الفعل المضارع بعدها إلى الماضي لأنها ظرف للزمن الماضي.

– كذلك جرت موازنة بين (إذا)، و(إنْ) من حيث توجيه دلالة الأفعال في التركيب الشرطي بعدهما فتبين (أن الأصل في استعمال إذا أن تدخل على الذي تيقن وقوعه أو رجح، وأن الأصل في (إنْ) أن تدخل على المشكوك فيه)[7] وقد استنتجت بعض

---

(1) البقرة 281

(2) التوبة 124

(3) البقرة 282

(4) دراسات لأسلوب القرآن الكريم 1/ 176

(5) دراسات لأسلوب القرآن الكريم 1/ 178

(6) التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار المجيد التونسية للنشر، للنشر، تونس، 1984 هـ 8/ 198

(7) السامرائي، فاضل معاني، النحو: دار الفكر، عمان، ط1، 2000م، 71/4

الدراسات (أن (إذا) على كثرة استعمالها في القرآن الكريم – فقد وردت في أكثر من ثلاثمئة وستين موضعًا – لم ترد في موضع واحد غير محتمل الوقوع، بل هي كلها إما مقطوع بوقوعها، أو كثر الوقوع بخلاف إن)[1]، وقد مرَّ أن المتنبي لا يخرج عن هذه القاعدة.

- وقد تكون (إذا) وجملتها لغرض الاستمرار كما قول المتنبي:

إذا قيلَ رِفقاً قالَ لِلحِلمِ مَوضِعٌ ** وَحِلمُ الفَتى في غَيرِ مَوضِعِهِ جَهلُ

وقوله:

ثِقالٍ إذا لاقَوا خِفافٍ إذا دُعوا ** كَثيرٍ إذا شَدّوا قَليلٍ إذا عُدّوا

وقد أشار الرضي إلى معنى الاستمرار فقال: (وقد تكون (إذا) مع جملتها لاستمرار الزمان؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾[2] أي هذا عادتهم المستمرة، ومثله كثير)[3]

- وقد دل التدقيق في لغة القرآن الكريم على أن الشرط جاء مضارعًا مبنيًا للمجهول في ثلاثة عشر موضعًا[4] وقع ذلك في مضارع الفعل (تلا)[5] كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا﴾[6].
- ثمة أفعال مبنية للمجهول في هذه العينة هي: (فَما يُنَكَّسُ)، و(تُعَدُّ)، و(يُسقى الخَصيبُ وَتُمطَرُ الدَأماءُ)، و(إذا أُنشِرَ السِرُّ لا يُنشَرُ)، وقد وقع اثنان منهما في جملة جواب الشرط، الأول (فَما يُنَكَّسُ) وقد اقترن بالفاء الرابطة وفق القاعدة المطردة للعربية، والثاني (لا ينشر) ولم يقترن وفقًا للغة الشعر.
- خلاصة القول: وُظف الشرط بهذه الأداة –إذا–في معانٍ مختلفة وصور شتى.. ومما لا جدال فيه أن ثمة أسباباً تكمن وراء التركيز على الإكثار من توظيف الشرط

---

[1] معاني النحو 4/ 65

[2] البقرة 11

[3] شرح الكافية 2/ 101، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم 1/ 176

[4] دراسات لأسلوب القرآن الكريم 1/ 178 وما بعدها

[5] دراسات لأسلوب القرآن الكريم 1/ 169

[6] الإسراء 107

بصورة عامة، والأداة (إذا) بصورة خاصة، إذ إن المتنبي في عمله الفني يروم بثّ أفكاره وعواطفه، تلك الأفكار والعواطف تأخذ طريقها إلى التعبير، وبأسلوب ينم عن فرادة صاحبه.

- **الفعل المبني للمجهول مع أداة الشرط لو:**

الأداة لو:

لأدوات الشرط الجازمة شأن يخالف الأدوات غير الجازمة؛ فالجملة المقرونة بقد تصلح شرطًا لـ (لو)، ولا تصلح شرطًا لأداة جازمة[1] وتذكر بعض الكتب التي عنيت بالأدوات أن (لو) من أدوات الشرط، وأنها تكون امتناعية، وتسمى حرف امتناع لامتناع، ومعناه امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[2] وأنها تأتي شرطية غير امتناعية ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[3] وتأتي للتمني، وقيل تأتي بمعنى إنْ، (والحق أنها لا تطابق إنْ فإن شرط إنْ بعيد الوقوع، وهو أبعد من لو)[4]، والأصل في فرض المحالات كلمة (لو) دون (إن) لأنها لِمَا لا جزم بوقوعه، ولا وقوعه، والمحال مقطوع بوقعه)[5] وذُكر أنها أنها تفيد التقليل (تصدقوا ولو بشق تمرة)[6]، والتمرة بعيدة أن يتصدق بها لزهادتها[7] لزهادتها[7]

العينة: تم استقراء الأفعال المبنية للمجهول المصاحبة للأداة (لو)، فكانت الحصيلة ما يأتي:

البيت	الفعل	الأداة	المصدر
وَلَو بُلِّغَ الناسُ ما بُلِّغَت **لَخانَتهُمُ حَولَكَ الأَرجُلُ	بُلِّغَ	لو	3/69

(1) دراسات لأسلوب القرآن الكريم 170/1

(2) المائدة 48

(3) الأنفال 23

(4) معاني النحو 4/ 77

(5) ينظر الكليات، ص51

(6) رواية كتب الحديث(فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة)، رواه البخاري، أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، (4/ 2095)، رقم: (2734).

(7) معاني النحو 78/4

وَلَو حُمِّلَت صُمُّ الجِبالِ الَّذي بِنا غَداةَ اِفتَرَقنا أَو شَكَت تَتَصَدَّعُ	حُمِّلَت	لو	2/236
لَو خُلِطَ المِسكُ وَالعَبيرُ بِها **وَلَستِ فيها لَخِلتُها ثَقِلَه	خُلِطَ	لو	3/266
فَلَو خُلِقَ الناسُ مِن دَهرِهِم**لَكانوا الظَلامَ وَكُنتَ النَهارا	خُلِقَ	لو	2/96
لَو سُرِّحَت في عارِضَي مُحتالِ**لَعَدَّها مِن شَبَكاتِ المالِ	سُرِّحَت	لو	3/318
وَلَو سُقِّيتُها بِيَدي نَديمٍ **أَسَرُّ بِهِ لَكانَ أَبا ضَبيسِ	سُقِّيتُها	لو	2/192
ذاكَ المُعِدُّ الَّذي تَقتو يَداهُ لَنا**فَلَو أُصيبَ بِشَيءٍ مِنهُ عَزّانا	أُصيبَ	لو	4/226
وَحُقوقٌ تُرَقِّقُ القَلبَ لِلقَل **بِ وَلَو ضُمِّنَت قُلوبَ الجَمادِ	ضُمِّنَت	لو	2/36
وَأَسمَعَ مِن أَلفاظِهِ اللُغَةَ الَّتي**يَلَذُّ بِها سَمعي وَلَو ضُمِّنَت شَتمي	ضُمِّنَت	لو	4/53
فَلَو طُرِحَت قُلوبُ العِشقِ فيها**لَما خافَت مِنَ الحَدَقِ الحِسانِ	طُرِحَت	لو	4/260
أَنتَ الَّذي لَو يُعابُ في مَلَإٍ **ما عيبَ إِلّا بِأَنَّهُ بَشَرُ	يُعابُ	لو	2/89
لَو نيطَتِ الدُنيا بِأُخرى مِثلِها **لَعَمَمنَها وَخَشينَ أَن لا تَقنَعا	نيطَتِ	لو	2/267
لَو أُوردَت غِبَّ سَحابٍ صادِقٍ ** لَأَحسَبَت خَوامِسَ الأَيانِقِ	أُوردَت	لو	2/355
وَلَو عُقِرَت لَبَلَّغَني إِلَيهِ **حَديثٌ عَنهُ يَحمِلُ كُلَّ ماشِ	عُقِرَت	لو	2/215

التحليل:

- استعملت الأفعال المبنية للمجهول مع الأداة غير الجازمة (لو) في /13/ موضعاً كانت فيها جميعًا أفعال شرط.
- كان نصيب الفعل المضارع منها في موضع واحد، وذلك في قوله: (أَنتَ الَّذي لَو يُعابُ في مَلَإٍ).
- جاءت اللام رابطة للجواب في تسعة مواضع، وخلت منها في أربعة مواضع وهذا يدل على رجحان اقتران الجواب باللام.
- ثمة اتجاه واضح للفعل في جملة جواب الشرط، وهو مجيئه ماضيًا في اللفظ دون المعنى، وساد فيها الفعل المبني للمعلوم، إلا موضعًا واحدًا هو في قوله:

أَنتَ الَّذي لَو يُعابُ في مَلَإٍ ** ما عيبَ إِلّا بِأَنَّهُ بَشَرُ.

- دل التدقيق في تراكيب أسلوب الشرط الذي تتصدره (لو) أن أغلبها استعمل في المدح، وأن أغلبها يحمل في طياته المبالغة التي تقارب المحال، وتحليل بعض منها يدلل على ذلك:

فقوله: وَلَو بُلِّغَ الناسُ ما بُلِّغَت ** لَخانَتهُمُ حَولَكَ الأَرجُلُ

جاء في سياق أن هيبة الممدوح تتجاوز التأثير في البشر إلى التأثير في الخيمة فهم (لم تحملهم قوائمهم هيبة لك، كما خانتها أطنابها وعمدها)[1]، إنها المبالغة القائمة على نقل الإحساس إلى الأشياء التي لاحظ لها منه، إنه الشعر، وإن (أعذب الشعر أكذبه)، ومثل هذه المبالغات على بعدها عن الحقيقة كانت تجد قبولاً في نفس الممدوح. وكذا الأمر في قوله:

وَلَو حُمِّلَت صُمُّ الجِبالِ الَّذي بِنا ** غَداةَ اِفتَرَقنا أَو شَكَت تَتَصَدَّعُ

فالمعنى: (قد حملنا من الفراق ما لو كُلِّفَتْهُ الجبال لقاربت أن تتصدع)[2]، صحيح أن كلمة (أوشكت) تخفف من غلواء المبالغة، لكن الصحيح أن الجبال لا يمكن أن تشعر لا بالفراق ولا بآلامه. والمبالغة التي هي أكثر استحالة جاءت في قوله:

ولَو خُلِقَ الناسُ مِن دَهرِهِم ** لَكانوا الظَلامَ وَكُنتَ النَهارا

إن امتناع الجواب لامتناع الشرط يتجلى على نحو بيِّن في هذا البيت، لكن ثمَّة ظلال لهذه المبالغة تجعلها مؤثرة في نفس الممدوح بعد أن غضب على المتنبي لتأخره في مدحه فهو يسترضيه بمثل هذا الوصف الذي يجعله ينماز من غيره، فمع أن الليل والنهار آيتان، لكن آية النهار مبصرة، وعلى هذا فمعنى البيت: (يقول: لو كان الناس خلقوا من الدهر لكانوا الليل، وكنت النهارا)[3]: يعني إن لك فضلاً عليهم، كفضل النور على الظلام.

صفوة القول: إن المتنبي وجد في تراكيب أسلوب الشرط الذي تتصدرها (لو)، وكان فعل الشرط مبنيًّا للمجهول، قيمةً تعبيريةً تجلت في المبالغات التي تقترب من المحال لكنه وظَّف تلك المبالغات للتأثير في نفس الممدوح.

---

[1] التبيان 69/3

[2] التبيان 2/ 262

[3] التبيان 2/ 96

الفعل المبني للمجهول مع أداة الشرط إن:

الأداة إن:

إذا كانت (إن) تأتي لمعانيَ أربعة، وهي أن تكون شرطية، ونافية، وزائدة، ومخففة من إنَّ[1]، فالذي يعنينا كونها شرطية، وهي أصل أدوات الشرط على ما يقرر الخليل بن أحمد، وتعليل ذلك (أنها تدخل على الماضي وعلى المضارع لأنها أصل الجوازم فاتُّسِعَ فيها)[2] ولعل أبرز خصائصها: أنها حرف شرط جازم لا محل له من الإعراب، وأنها تفيد الربط، وأنها أبدًا مبهمة، وكذلك حروف الجزاء بخلاف (إذا) التي تجيء وقتًا معلومًا، يقال: آتيك إذا احمرَّ البسرُ، ولو قيل: آتيك إنِ احمرَّ البسرُ، كان قبيحًا[3] وذُكر من معانيها: الشكُّ عن سيبويه[4]، وقال الرضي: ((إنْ) ليست للشك، بل لعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها، وعدم وقوعها)[5] وهي للظَّنُّ والتوقع عند المبرد[6]، وقال أبو حيان: (إذا كانت شرطية فذكروا أنها تدخل على الممكن وجوده، أو المحقق وجوده المبهم زمان وقوعه كقوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[7].

1- ما أعتقده أن اللغة السياقية هي التي تجعل القاعدة الواحدة قاصرة عن تفسير مواضع ورودها، والدليل أنها تأتي في المستحيل عقلاً؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[8]، وقد تكون (إنْ) في كلام أُخرج مُخرج الشكِّ، نحو:

---

(1) الأشقر، محمد سليمان عبد الله، معجم علوم اللغة العربية عن الأئمة: بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1995 م/ص 83

(2) توجيه اللمع 370

(3) كتاب سيبويه 1/ 433

(4) ينظر: كتاب سيبويه 1/ 257

(5) الرضي، شرح كافية ابن الحاجب: 2/ 235

(6) المقتضب 2/ 56

(7) الأنبياء 34

(8) الزخرف 81

نحو: إن كنتَ إنسانًا فأنتَ تفعل كذا[1]، وقد تكون للحضِّ نحو: إن كنتَ ابني فأطعني[2]، وقد يُفهم منها التوبيخ؛ نحو ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾[3].

2- تختص (إنْ) بجواز أن يقع بعدها الاسم المرفوع الذي بعده فعل يفسِّر ذلك الفعل المحذوف في الاختيار، أما غير (إنْ) فلا يقع فيه ذلك إلا في الشعر[4]

3- الفعل بعدها له دلالة مركبة من حيث زمنه؛ فقد يكون الفعل ماضيًا في اللفظ دون المعنى؛ نحو: إنْ قام زيد جلس عمرو.

- العينة: فيما يأتي عرض للمواضع التي صاحب الفعل المبني للمجهول فيها (إنْ) في شعره:

البيت	الفعل	الأداة	المصدر
وَإِن بُليتُ بِوُدٍّ مِثلِ وُدِّكُمُ ** فَإِنَّني بِفِراقٍ مِثلِهِ قَمِنُ	بُليتُ	إن	4/238
فَإِن أَمرَض فَما مَرِضَ اِصطِباري**وَإِن أُحمَم فَما حُمَّ اِعتِزامي	أُحمَم	إن	4/148
إِن خُلِّيَت رُبِطَت بِآدابِ الوَغى** فَدُعاؤُها يُغني عَنِ الأَرسانِ	خُلِّيَت	إن	4/176
لا يُذكَرُ الخَيرُ إِن ذُكِرتَ وَلا**تُتبِعُكَ المُقلَتانِ تَوكافا	ذُكِرتَ	إن	2/293
فَإِن طُبِعَت قَبلَكَ المُرهَفاتُ**فَإِنَّكَ مِن قَبلِها المِقصَلُ	طُبِعَت	إن	3/72
وَأَنَّكَ إِن قُوبِستَ صَحَّفَ قارِئٌ **ذِئاباً وَلَم يُخطِئ فَقالَ ذُبابُ	قُوبِستَ	إن	1/199
إِن كوتِبوا أَو لَقوا أَو حورِبوا وُجِدوا**في الخَطِّ وَاللَفظِ وَالهَيجاءِ فُرسانا	كوتِبوا	إن	4/227
فَهُوَ المُشَيَّعُ بِالمَسامِعِ إِن مَضى**وَهُوَ المُضاعَفُ حُسنُهُ إِن كُرِّرا	كُرِّرا	إن	2/167

التحليل:

- بلغ عدد الأفعال المبنية للمجهول المصاحبة (إنْ) ثمانية.
- كانت الأفعال الماضية منها سبعة، في حين اقتصر ورود المضارع على موضع واحد هو (فإنْ أُحمم).

---

[1] الأنباري، أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، كمال الدين المكتبة العصرية، 1424 هـ، 2013م، ط 1/ ص368

[2] الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، البحر المحيط في التفسير: تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط، 1421 هـ / 3/ 279

[3] البحر 8/ 459

[4] كتاب سيبويه 257/1

- كل هذه الأفعال وقعت في التركيب الشرطي أفعالاً للشرط، وأغلبها في محل جزم، أما المضارع منها فهو مجزوم وعلامة جزمه السكون.
- وثمة أفعال مبنية للمجهول عُطفت على فعل الشرط في قوله: (إن كوتِبوا أَو لَقوا أَو حورِبوا وُجِدوا) فلم يكتف المتنبي بفعل شرط واحد بل قرن به أشباهًا ليلفت انتباه السامع إليها وتضاعف من تشوقه كلما انتقل من جزء إلى جزء فيأتيه الجواب بعد تلهف، وهو أنهم فرسان كتابة وفصاحة وساحات وغى.
- وقع الفعل المبني للمجهول في جملة جواب الشرط في ثلاثة مواضع، وهي (فَما حُمَّ)، و(رُبِطَت)، و(وُجدوا) هذه المشاكلة في الفعلين– فعل الشرط، وفعل جواب الشرط – تعزز ما فيهما من إبهام ومن تعدد الأحداث و استمراريتها.
- وقعت الفاء رابطة للجواب في ثلاثة مواضع: (فَإِنَّني بِفِراقٍ مِثلِهِ قَمِنُ)، و(فَما حُمَّ اِعتِزامي)، و(فَإِنَّكَ مِن قَبلِها المِقصَلُ) وبها تكتمل عناصر التركيب الشرطي ولا سيما من حيث قوة ترابطه، اثنتان من جمل جواب الشرط اسمية، وواحدة منها فعلية مسبوقة بما النافية. والمتنبي في هذا يوافق أحوال اقترانها في قواعد العربية؛ وقد جُمعت هذه الأحوال السبع في قول الشاعرِ:

اسْمِيَّةٌ طَلَبِيَّةٌ وبِجَامِدٍ ** وبما ولَنْ وبِقَدْ وبالتَّسْويف[1].

- لم يقترن جواب الشرط بالفاء في موضعين هما: (إن خُلِّيَت رُبِطَت)، و (إن كوتِبوا أَو لَقوا أَو حورِبوا وُجِدوا).
- تنوعت دلالات هذه الأفعال على الزمن، لكنه زمن مبهم. فقوله:

وَإِن بُليتُ بِوُدٍّ مِثلِ وُدِّكُمُ ** فَإِنَّني بِفِراقٍ مِثلِهِ قَمِنُ

يدل على أن زمن الفعل (بُليتُ) ماض في اللفظ دون المعنى، لكن متى تقع البلوى هذا أمر مبهم، وقد لا تقع.

- بلغ مجمل الأفعال المبنية للمجهول في هذه الأبيات الثمانية 14 فعلاً، وهذا يعضد إيحاء الإبهام الذي تشتمل عليه الأداة (إنْ)، كما يدلل على كفاية العربية، وكفاءة الشاعر في استخدام القيمة التعبيرية لأفعال هذه الظاهرة.

---

[1] الزرقاني، محمد بن عبد الباقي، شرح الزرقاني علي المواهب اللدنيه بالمنح المحمديه: 69/1

خاتمة البحث ونتائجه:

تناول هذا البحث بالدراسة أثر الفعل المبني للمجهول في التركيب الشرطي وتأثره به، وذلك في مدونة شعرية كان لها من الاهتمام والعناية ما ندر أن تحظى بهما مدونة أخرى في الشعر العربي، وتكون من ثلاث مسائل أساسية؛ أما الأولى، فهي مجموعة القضايا التي تشكل الإطار النظري للبحث. وأما الثانية ففيها بسط القول في عينة الفعل المبني للمجهول في مدونة المتنبي الشعرية، التي كان لها أثر في أسلوب الشرط وذلك بعد كلام موجز على شعر المتنبي أهميةً ورواية وتناولاً. وأما الثالثة: فهي رصد أثر الفعل المبني للمجهول في أسلوب الشرط، وتأثره به. وقد تم استقراء أسلوب الشرط لثلاث أدوات وهي: (إذا، ولو، وإنْ). وقد صاحبها الفعل المبني للمجهول في تسعة وأربعين موضعًا وكان فيها جميعًا فعلَ الشرط. ولعل أبرز النتائج التي خلص البحث هي الآتية:

- إنَّ للفعل المبني للمجهول حضوره في مدونة المتنبي وله قيمته الأدائية والتعبيرية، وهذا الحضور يعطي فكرة عما هي عليه العربية الفصحى من غنى في هذه الظاهرة التي قلَّتْ في اللغات السامية، وخلت منها لغات كثيرة.
- أسهمت الأفعال المبنية للمجهول في التراكيب الشرطية التي تتصدرها(إذا، ولو، وإنْ) وكانت تلك الأفعال مكونًا أساسيًّا في جملة الشرط، وقلَّت في جملة جواب الشرط.
- شكَّل التركيب الشرطي بكل مكوناته وحدة دلالية مركَّبة، من تيقن وقوع الحدث، أو رجحانه، أو الشك في وقوعه، أو استحالته. وقد أفاد المتنبي من ذلك؛ فالتراكيب التي تتصدرها (لو) لها قيمةً تعبيريةً تجلت في المبالغات التي تقترب من المحال في مدونة المتنبي.
- تشترك الأفعال المبنية للمجهول مع أدوات الشرط في الدلالة على الإبهام، والإبهام مع (لو) أكثر شدةً.
- والتركيب الشرطي له أثره في الأفعال المبنية للمجهول من حيث زمنها، فقد يكون الفعل في اللفظ دالاً على الماضي وهو دون ذلك في المعنى، وقد يكون الفعل مضارعًا في اللفظ وهو دون ذلك في المعنى.

- دل البحث على كفاءة المتنبي؛ في غنى حصيلته مفرداتٍ وقواعد وأساليب التي جاءت موافقة لما في القواعد العامة للعربية، وموافقة أحيانًا للضرائر الشعرية. ولا ريب في أن لكثرة أهل العلم في بلاط سيف الدولة أثرًا إيجابيًا في غنى ديباجته.
- إنَّ الأسلوب الشرطي قد برزت فيه مصلحات دلالية تضافرت جميعها وأسهمت في إبراز الدلالة الكلية لهذا الأسلوب، بما فيه من ربط وتعلُّقٍ وسببية.

❁❁❁

مصادر البحث ومراجعه:

أولاً – المطبوعة:

- القرآن الكريم.
- الأساليب العربية في القرآن من خلال كتب معاني القرآن وأثرها في التفسير، إياد بن موسى بن محمود إسماعيل.
- الأساليب العربية الواردة في القرآن الكريم وأثرها في التفسير من خلال جامع البيان للطبري، فواز منصر سالم الشاويش، ط2، 2015م.
- الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط12، 2003م.
- الأسلوبية، بيير جيرو، تر: منذر عياش، حلب، مركز الإنماء الحضاريّ، ط1.
- الأسلوب والأسلوبية. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، المكتبة العصرية، 1424 هـ، 2013 م، ط 1
- أوضح المسالك، لجمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، دار الفكر.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط، 1421 هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار، المجيد التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت 1985م

- التبيان في شرح الديوان لأبي البقاء العكبري (ت: 616هـ)، تح: مصطفى السّقا ورفاقه، القاهرة، 1936م.
- توجيه اللمع، لأحمد بن الحسين بن الخباز، تح: أ.د. فايز زكي محمد دياب، القاهرة 2002م
- التوظيف البلاغي للتجنيس والمشاكلة في شعر المتنبي، رائد الجبوري، العراق: جامعة ديالي، 2014
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني ،1413 هـ، 1992 م.
- شرح ألفية ابن مالك، لابن الناظم، بدر الدين محمد، تح: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، بيروت – دار الجيل.
- شرح المفصل، ابن يعيش، موفق الدين، عالم الكتب، بيروت، د.ط.
- شرح الديوان، عبد الرحمن البرقوقي (ت: 1363هـ)، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط2، 2012م.
- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني (المتوفى: 1122هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – ط1، 1417هـ،1996م
- شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (المتوفى: 686 هـ)، تح: أ. د. يوسف حسن عمر، 1395، 1975 م
- الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، عبد السلام المسدي، ومحمد الهادي الطرابلسي، الدار العربية للكتاب، تونس/1985م
- العَرْفُ الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب، لناصيف اليازجي (ت: 1287هـ)، تح: عمر الطبّاع، دار الأرقم، بيروت، 1995م

- علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته. صلاح فضل، دار الشروق، مصر، ط1، 1998، الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي، أبو الفتح عثمان بن جني، تح د. رضا رجب، دار الينابيع ط 1، 2010
- الفَسْرُ؛ شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبِّي (ت: 392هـ)، تحقيق: د. رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2004م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1418 هـ، 1988م
- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تح: عدنان درويش ورفيقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1988م
- اللّامع العزيزي، أبو العلاء المعري، تح: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ط1، 2008م
- مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري عياد، ط1، 1980
- معاني النحو، د. فاضل السامرائي، دار الفكر، عمان، ط1، 2000م.
- معجز أحمد، لأبي العلاء المعرّي (ت: 449هـ)، تح: عبد المجيد دياب، دار المعارف، ط2، 1992م.
- معجم علوم اللغة العربية عنن الأئمة، د. محمد سليمان عبد الله الأشقر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1995 م
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م
- المقتضب، محمد بن يزيد الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- النقد اللغوي القديم عند العرب، حليمة بلووافي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية

المخطوطة:

- أدوات الشرط غير الجازمة في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، إعداد فهد محمد ديب الجمل، رسالة ماجستير.
- الجملة الشرطية في القرآن الكريم، دراسة نحوية تحليلية على سورة النساء، رسالة ماجستير إعداد الطالبة سلوى سلقيني، إشراف د. عيسى بودوخة، جامعة العربي بن مهيدي – الجزائر 2018،2019 م.
- جملة الفعل المبني للمجهول في العربية، إعداد حسن محمود شبانة، بإشراف: د. نهاد الموسى، أطروحة (ماجستير)، الجامعة الأردنية، 1981
- الشرط في القرآن الكريم، عبد العزيز على الصالح المعيبد(رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور على النجدي ناصف، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم /1369هـ
- صيغة البناء للمجهول في اللغة العربية، أصولها وتطورها، إعداد محمد محمود السيد حمودة، إشراف د. رمضان عبد التواب، جامعة عين شمس.
- الفعل المبني للمجهول في سورة البقرة في ضوء الدراسات النحوية والنفسية، إعداد: مازن أحمد محمد حامد، إشراف: د. زهير إبراهيم، 2018

الدوريات:

- التعجب من فعل المفعول بين المانعين والمجيزين، سليمان العايد، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، العددان 79 ،80، العام:1987م.
- التغيرات الصوتيَّة في المبني للمفعول، الدكتور إبراهيم الشمسان أبو أوس، مجلّة جامعة الملك سعود، العام 1992م
- الفعل المبني للمجهول في اللُّغة العربيَّة، أهميته، مصطلحاته، أغراضه، الدكتور: عبد الفتَّاح محمّد، مجلة جامعة دمشق، 1 ،2، للعام 2006م.
- عوارض التركيب الشرطي في نهج البلاغة دراسة في الخصائص التركيبية لاستعمال إن الشرطية د. كريم حمزة حميدي، مجلة المبين، آب، 2019
- المبني للمجهول بين اختزال البنية واسترسال المعنى، الدكتورة دليلة مزوز، مجلة جامعة محمّد خيضر، بسكرة، الجزائر،2009

تجليات الراوي العالم ووجهة النظر في رواية:

(جنة عدم)

طالـــب الدراســات العليــا: صفاء المحمود
كلية: الآداب – جامعة: البعث
الدكتور المشرف: أحمد سيف الدين

ملخص البحث باللغة العربية:

حاول هذا البحث الوقوف على العلاقة القائمة بين الراوي العالم بوصفه تقنية رافقت الرواية منذ بواكيرها، ووجهة النظر بوصفها تقنية أخذت الكتابة الروائية إلى منحى من التجديد يسعى إلى التخلص من هيمنة الراوي العالم وسيطرته على عالم الرواية، وكان لابد من البدء بالتعريف بمصطلحي الراوي العالم ووجهة النظر، ثم التعريف بمضمون الرواية المراد إلقاء الضوء عليها من هاتين الناحيتين، والتوقف لاستجلاء أهم المواضع التي ظهرت فيها تدخلات الراوي العالم في السرد، إنْ في الشخصية أو الحدث أو الحوار، وتم الانتقال بعد ذلك إلى الحديث عن وجهة النظر من الناحية النفسية ثم الإيديولوجية، حيث تمت دراسة جانب مهم هو ألقاب الشخصيات التي كان لها صلة وثيقة بالتعبير عن الجانب الإيديولوجي للشخصيات المانحة للألقاب، وتطرّق البحث أخيراً للحديث عن بعض الأصوات التي ظهرت في الرواية مع توضيح طريقة بنائها ولاسيما في صوغ حواراتها، ومدى تمايز هذه الأصوات سردياً.

كلمات مفتاحية: السرد، الراوي العالم، وجهة النظر، تعدد الأصوات، الحوار الداخلي.

Research Summary:

This research tried to identify the relationship between the "omniscient narrator", as a technique that accompanied novel since its beginnings, and the "point of view", as a technique that took the narrative to a trend of renewal that seeks to get rid of the domination of the omniscient narrator and his control over the world of the novel. It was necessary to define the terms of "omniscient narrator" and the "point of view", then to introduce the content of the novel that we will study, and then we tried to show the most important places in which the interventions of the "omniscient narrator" in the narrative wether in the character, event or dialogue. After that we talked about the "point of view" from the psychological and ideological aspects. Then we studied the nicknames of the characters that were related to the ideological aspect. Finally we talked about some of the voices with an explanation of the way they were formulated, especially their dialogues, and the extent of the narrative distinction of these voices.

Keywords: Narrative, omniscient narrator, point of view, polyphony, interior monologue.

المقدمة:

لاريب أن الرواية السورية قد قطعت شوطاً كبيراً من الإبداع، لكنه الإبداع المؤتلف المختلف الذي تتنوع فيه التجارب وتزدحم الرؤى، وتبدو مع بدايات القرن الحادي والعشرين إرثاً يغري بالمتابعة والبحث، والروائية فائزة الداود واحدة من الروائيات السوريات البارزات في هذه الحقبة، اللواتي امتلكن مشروعاً روائياً واضحاً يهتم بالبيئة الريفية الساحلية لاسيما في روايتها (جنة عدم) التي شكلت محط اهتمام هذا البحث، إذ تحاول فيها القبض على الملامح المميزة للمكان والزمان والشخوص في فضاء روائي مطبوع بطابع البيئة أسلمت الكاتبة قياده لراو عالم بكل شيء ألقى ظلاله على العناصر السردية التي تعالق معها، وكان لوجهة النظر بوصفها تقنيةً متقدمةً زمنياً وحداثياً على تقنية الراوي العالم تأثرها الواضح بهذا الأداء الذي يقيم صلاته الوثيقة مع إحدى أهم تقنيات الرواية التقليدية، فجاء تعدد وجهات النظر محكوماً إلى حد ما بهذا الراوي وفق ماسننعم النظر فيه ونفصل القول عنه في هذا البحث.

أسباب اختيار البحث وأهميته والجديد فيه:

تثير هذه الرواية في قارئها مجموعة هواجس تتعلق بمضموناتها وبنيتها على حد سواء، فهي رواية نسوية (بمعنى أن كاتبتها امرأة) تلقي أضواءها الكاشفة على واقع الريف الفقير في الساحل السوري الذي تناوبت عليه قوى الاستغلال والاستنزاف في بدايات القرن العشرين سواء من المحتل العثماني ثم الفرنسي أم من القوى الداخلية المتمثلة بالإقطاع والشيوخ الزائفين المتزعمين تحت عباءة الدين، بالإضافة إلى التقاليد المتوارثة المثقلة بالجهل والتخلف التي لاتقل استنزافاً للإنسان عن غيرها من القوى فكيف بالمرأة ؟ من هنا يشحذ الباحث أسئلته عن الكيفية التي صورت بها الكاتبة عالمها الروائي وهي في مطلع الألفية الثالثة ليجد أنها ركنت إلى الذاكرة البعيدة وإلى الحكايات التي تملأ فضاء المكان، لتلقي بها في فضاء الرواية نصاً غنياً بدلالاته ورؤاه الخاصة ينهل من الحداثة بحذر ودون إسراف، فيبقى واقفاً على مفترق التقليد والحداثة دون أن يذعن لأحدهما كلياً، يتحدث عن المرأة دون تحيز مسبق فيبسط لنا أطوار حياتها في تدرج طبيعي مخلص لظروف نشأتها المضنية ولوعيها الفكري الذي حاول مجابهة الشروط الاجتماعية القاسية له ومناورتها. ويبدو جلياً للباحث أن تبنّي الرواية لتقنية الراوي العالم المنفتح على وجهة نظر الشخصيات ضمن توظيف خاص هو أحد المفاتيح الرئيسة لأسرارها الفنية، ودراسة هذا التجاذب بين وجهة نظر الراوي العالم ووجهات النظر الأخرى في الرواية كان مسعى البحث في رغبة لإبراز بعض خصائص النص الروائي الذي لم يحظ حسب اطلاعنا بدراسة وافية لأحد جوانبه الفنية ، بل اقتصر الأمر على إشارات مستعجلة إليه في بعض الكتب[1] أو المقالات الالكترونية التي تتحدث عنه بصورة تعريفية تبقى ضمن إطار السطحية.

[1] انظر: رولا حسن، فراشات السرد (قراءة في الرواية النسوية السورية)، دار بعل للطباعة والنشر، دمشق، ط1، دمشق.ص 144.

أهداف البحث وأسئلته:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على تقنية الراوي العالم التي تم توظيفها في هذه الرواية عبر إيضاح تجلياتها الكثيرة المرافقة للخطاب السردي، في محاولة للإجابة على الأسئلة الآتية: كيف كان حضور الراوي العالم خلال السرد، وماهي أبرز تدخلاته ؟ وماالعلاقة بين الراوي العالم ووجهات النظر التي تهدف قبل كل شيء في حضورها السردي إلى التخفيف من هيمنة الراوي العالم؟ وكيف كان توظيف وجهات النظر المتعددة في النص؟

وهل كان ظهور الأصوات في الرواية ظهوراً تعددياً يحافظ على تميزها وخصوصيتها؟

وهل كانت هيمنة الراوي العالم سبباً في إبقاء الرواية ضمن إطار الرواية التقليدية أو أنها تجاوزت ذلك إلى أفق الرواية الحديثة؟ هذه أهم الأسئلة التي تكلف البحث عناء الإجابة عليها، عسى أن يكون قد اهتدى السبيل إلى بعض ذلك.

فرضيات البحث وحدوده:

ينطلق البحث من فرضية رئيسة هي أنّ كل نص سردي روائي هو عبارة عن مجموعة من التقنيات السردية الحاملة لقيمه ولمجمل الإيديولوجيات التي تنطق بها شخوصه معبرةً عن وجهة نظر المؤلف حيال عالمه الروائي، وأنّ اللجوء إلى تقنية الراوي العالم ليقوم بضبط إيقاع النص، وإفساح المجال أحياناً للاستفادة من تقنية السرد عبر وجهة النظر بطرائق متنوعة ، ماهو إلا تجلٍّ لهذه النظرة التي تنتظم حلقات الرواية، وأنّ هيمنة الراوي على السرد والتدخلات المستمرة في مساره لابد أن يكون لها تأثيرات

واضحة على بنيته الفنية وبالتالي على ماتنطق به من دلالات بالإضافة إلى انعكاساتها على وجهات النظر البارزة في الرواية.

مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:

تستند المصطلحات المتداولة في هذا البحث إلى الخلقية النظرية المتعلقة بنظرية السرد، وأبرز هذه المصطلحات: الراوي العالم الذي يعني الذات التي تقوم بعملية السرد، ووجهة النظر التي تعني الزاوية التي يتم من خلالها إدراك الأشياء أو الأشخاص، وهو مصطلح له مترادفات عدة ظهرت في الإرث النقدي الحديث مثل: البؤرة أو التبئير والرؤية والمنظور السردي...، بالإضافة إلى الأصوات وهي الذوات المتلفظة في السرد، والحوار بأنواعه سواء كان مباشراً أم غير مباشر أم مسروداً.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

تمت الاستفادة في هذا البحث من مجموعة من الدراسات التي اهتمت بعلم السرد وتقنياته مثل كتاب جيرار جينيت: (خطاب الحكاية)، وكتاب لرولان بارت وباحثين آخرين بعنوان: طرائق تحليل السرد الأدبي، وكتاب سعيد يقطين (تحليل الخطاب الروائي)، وتمت أيضاً الاستفادة من الكتب التي تحدثت عن الراوي وأشكال ظهوره وتوظيفه في النص السردي ومن أهمها كتاب يمنى العيد: (الراوي– الموقع والشكل) وكتاب سمر روحي الفيصل: (الروائي والراوي والرؤيا في الرواية السورية)، وقد احتاج البحث أيضاً إلى دراية بمفهوم وجهة النظر والاطلاع على دراسات مهمة في هذا المضمار مثل الدراسة التي قدمها بوريس أوسبنسكي في كتابه (شعرية التأليف)، و،كتاب محمد نجيب

التلاوي: (وجهة النظر في رواية الأصوات العربية)، وكان لابد من الاطلاع على بعض الدراسات التي تحدثت عن الرواية السورية في الحقبة الزمنية المختارة وأبرزها كتاب رولا حسن: (فراشات السرد)[1]، وجدير بالذكر أن رواية(جنة عدم) لم تحظ حسب اطلاعنا بدراسة وافية لأحد جوانبها يمكن أن نستضيء بها.

منهج البحث وإجراءاته:

يتكئ هذا البحث على أدوات المنهج البنيوي الذي يتخذ من الوصف مرتكزاً له، وصف البنية السطحية للنص بما يشمل تقنياته وصولاً إلى البنية العميقة له بما يلقي الضوء على دلالاته ورؤاه، ومما لاريب فيه أنه على الرغم من انحسار البنيوية وتعرضها للهجوم والنقد فإن كل دراسة تحاول وصف النص السردي ستحتاج إلى المفاهيم التي أرساها النقد الأدبي البنيوي عبر جهود متواصلة متلاحقة، تلاقت حيناً واختلفت أحياناً في بعض جوانبها، مما أسفر عن إرث متعدد الاتجاهات والرؤى، لكنه يتفق في أن الطريق إلى فهم دلالات النص يكون من داخل النص أي من وصف بنيته الخاصة وليس من خارجه.

بين الراوي العالم والكتابة عبر وجهة النظر:

الراوي هو جزء من السرد، أي مكون من مكونات البنية السردية يظهر في النص السردي، وهذا ما يميزه عن الروائي الذي هو عنصر موجود خارج السرد، وعندما يسرد الراوي فإنه يُخضع مايرويه لوجهة نظر، ووجهة النظر هي الزاوية التي يدرك من خلالها السارد موضوع سرده، والراوي إما أن يكون عالماً بكل شيء يتعلق بالأحداث أو الشخصيات، وعندها تكون معرفته أكبر من معرفة الشخصيات ، وإما أن يعلم الراوي بقدر ما تعلم الشخصية فلا يزيد علمه عن علمها، وقد يعلم في أحيان أخرى أقل مما

[1] الكتب جميعها المشار إليها في هذه الفقرة تم توثيقها في نهاية البحث في ثبت المصادر والمراجع.

تعلم الشخصية، وقد عبر تودوروف في بحثه المعنون: (مظاهر السرد) عن هذه الحالات الثلاث حين وصف السارد أو الراوي في الحالة الأولى بأنه أكبر من الشخصية حيث يمتد علمه إلى ما خلف الجدران وإلى دماغ الشخصية، وتُسمى وجهة النظر هنا _ حسب مصطلح تودوروف _ (الرؤية من الخلف)، أما عندما يكون السارد مساوياً بعلمه لعلم الشخصية، فإن وجهة النظر تُسمى حسب وصفه (الرؤية مع)، و يضع تودوروف الحالتين السابقتين في إطار الرؤية الداخلية، أما في حالة الإدراك الخارجي فيكون علم السارد أقل من علم الشخصية، ويسمي الرؤية هنا الرؤية الخارجية[1].

وتبرز في التحديدات السابقة العلاقة الواضحة بين الراوي أو السارد ووجهة النظر، حيث يفرض موقع السارد تحديداً لوجهة النظر من الناحية الداخلية أو الخارجية، لكن لوجهة النظر تحديداً آخر يتعلق بكونها موضوعية أو ذاتية، فإذا كانت الجملة لاتحتوي أي إخبار عن الذات المتلفظة كان الكلام موضوعياً، أما إذا كانت تحتوي إخباراً عن هذه الذات فهو كلام ذاتي[2]. ونلاحظ من تأمل التصنيفات السابقة أنها تعتمد على التلازم بين مفهومي الراوي/السارد ووجهة النظر، وقد أيّد هذا الرأي نقاد آخرون مثل الناقد سعيد يقطين الذي يؤكد على الارتباط بين وجهة النظر والراوي، وهناك من عارضه مثل الناقد جيرار جينيت الذي يرى أن تصنيف وجهات النظر يجب أن يكون بمعزل عن الراوي، بل يجد أن من الضروري أن يقترن مفهوم وجهة النظر بمفهوم آخر هو مفهوم (المسافة)[3] ويعتمد عليه في التصنيف، لكن تصنيفاته التي يوردها لاتختلف عن تصنيفات تودوروف

[1] انظر: رولان بارت وآخرون : طرائق تحليل السرد الأدبي، من مقال لتزفيتان تودوروف بعنوان: مقولات السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط1، 1992، ص58- 59.

[2] انظر: المرجع السابق، ص 63.

[3] يدرس جينيت تحت عنوان مصطلح المسافة نوعين أساسيين للحكاية؛ الأول هو حكاية الأحداث ويقصد به النقل اللفظي لما هو غير لفظي (الأحداث)، أما النوع الثاني فهو حكاية الأقوال ويقصد به نقل خطاب الشخصية عبر أكثر من طريقة؛ الخطاب المروي، الخطاب المحول بالأسلوب غير المباشر، الخطاب المباشر متضمناً الحوار والمونولوج، انظر كتابه: خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط1، 2000، ص178 ومابعدها.

في جوهرها، إلا أنه يشير إلى أمر مهم هو أن الحكاية ذات وجهة النظر هي التي أسماها تودوروف (الرؤية مع)، أما الحكاية ذات السارد العليم فهي لاتحمل أي نوع من التبئير أو يكون تبئيرها في الدرجة صفر، وهذا الرأي لايوافق عليه الناقد سعيد يقطين حيث يرى أن التبئير حتى عندما يكون في الدرجة صفر فهو يكون في أحد تجلياته أو في درجة من درجات حضوره [1].

وقد بدأ الاهتمام بوجهة النظر مع النقد الروائي الجديد – بما يجمع عليه أغلب المهتمين بهذا الجانب – على يد الكاتب والناقد الانجليزي هنري جيمس الذي يعود إليه الفضل في ابتداع مصطلح (رواية وجهة النظر)، وذلك في بدايات القرن العشرين، ولاسيما أن التناول الروائي الجديد لديه لهذا العنصر قد أحدث مايشبه الانقلاب على تقاليد الرواية الكلاسية، وقد أخذ هذا الأمر بعداً تنظيرياً معمقاً مع كتاب (صنعة الرواية) لمؤلفه بيرسي لوبوك، حيث كان هذا الكتاب أول عمل منهجي تناول هذه الظاهرة التي تعدّ من أهم العناصر التي تميز عملاً روائياً عن عمل آخر في خصوصية بنائه[2]، وقد كان الدافع الأساسي الذي حدا بالكاتب هنري جيمس لابتداع مصطلح وجهة النظر عائداً إلى رغبته في بناء الرواية التي تسعى إلى إخفاء وطمس ملامح الراوي العارف بكل شيء، والمتحكم بكل شيء حسب تقاليد الرواية السابقة، فتقوم بوضع الحدث داخل إطار من وعي إحدى الشخصيات، وقد طبق هنري جيمس هذه الطريقة في رواياته، وانبرى الروائيون بعده يطبقون الشيء ذاته لكن بأساليب مختلفة[3].

[1] انظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي ، 1989، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ص309.
[2] انظر: سيزا قاسم، بناء الرواية – مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ط1 ، 1984، ص130.
[3] انظر: محمد نجيب التلاوي، وجهة النظر في رواية الأصوات العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص13.

ويتضح من العرض السابق أن هناك عدة مصطلحات مرادفة لمصطلح وجهة النظر يمكن العثور عليها في القواميس الأدبية وفي كتب النقاد المهتمين بالسرد مثل: البؤرة، الرؤية، التبئير، المنظور[1]... وتجتمع هذه المصطلحات حول مبدأ واحد هو أن وجهة النظر هي الطريقة التي يُدرَك بها السرد، لكنّ مصطلح وجهة النظر يمتاز عن هذه المصطلحات جميعها بأنه يدل على ناحيتين هما الناحية الفنية والناحية الإيديولوجية لذلك عدّه الباحث محمد نجيب التلاوي المصطلح الأفضل[2]، ونحن نوافقه الرأي لأن ذلك يتماشى مع غاية البحث المنشودة وهي الإلمام بالجانبين الفني والإيديولوجي لوجهة النظر في الرواية التي نهمّ بدراستها. ونضيف إلى ذلك استفادتنا من الرأي الذي قدمه الباحث بوريس أوسبنسكي موسّعاً النظرة إلى هذا الموضوع حيث اعتبر أن المقاربات المختلفة لتمفصل وجهة النظر في أي عمل فني متطابقة مع الصعد المختلفة في تحليل بنية العمل، حيث يحدد مستويات البحث التي يمكن تثبيت وجهة النظر بها وهي مستوى الإيديولوجيا ومستوى الصياغة التعبيرية والمستوى الزماني والمكاني والمستوى النفسي[3] .

لمحة عن رواية (جنة عدم)[4]:

هذه الرواية هي إحدى الأعمال الروائية للكاتبة السورية فائزة الداود، تدور أحداثها في بعض قرى الساحل السوري في بدايات القرن العشرين، حيث البلاد تئن تحت وطأة المحتل العثماني، وما إن تبرأ منه حتى تُرزأ بالآخر الفرنسي، وتبدأ حقبة جديدة من

[1] انظر: المرجع السابق، ص13.
[2] انظر: المرجع السابق، ص24-25.
[3] انظر: بوريس أوسبنسكي، شعرية التأليف، بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي، المجلس الأعلى للثقافة، 1999، ص15.
[4] فائزة الداوود، رواية جنة عدم، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2008 .

المعاناة المختلطة بالفقر والجهل وركام العادات البالية، يولد كاسر في هذه البيئة في أسرة تنوء بأفرادها، حيث الأب يعجز عن سد رمقهم لكنه يقدم الذبائح والنذور لشيوخ القرية، يتمرد كاسر على واقعه فيطرده أبوه إلى البراري المليئة بالأخطار، فيعتاد العيش فيها إلى أن يجتمع بأحد الشيوخ الذي يعلمه القراءة والكتابة ويعرّفه على قرية الدراويش، يضمر كاسر الغدر بهم والحصول على ما ظنه كنزاً يحتفظون به، لكنه يفشل، ويتحول فيما بعد إلى كاسر الثائر، وينجح كاسر في جعل الفلاحين الفقراء يلتفون حوله ويوهمهم بأنه يحميهم من أعدائهم ويستولي على أرزاقهم وضياعهم، ويهبه أحد الشيوخ على سبيل المكافأة ابنته خديجة قائلاً إنها زكاة مما يضطر كاسر إلى تزوجها، لايفلح كاسر في الإنجاب، يتعرف على الحوت وهو أحد تجار البحر، يستغله بخبث ويسيطر عليه عن طريق تلبيته لرغباته، يقنعه بالزواج من صوفي الأجنبية التي ستنجب له ولداً حسب زعمه، ويكتب كاسر وصيته بالضياع الخمس للحوت ولصوفي الأجنبية، يتبنى كاسر الطفل اللقيط الذي أتى به القط المتوحش ويسميه ديب، تفرح به زوجته خديجة وتربيه، ينجح ديب في كسب ثقة كاسر مع الزمن، فيستخدمه في إرسال الرسائل المحملة بتعليماته إلى ضياعه، تبرز في الرواية أيضاً شهلا شخصية رئيسة، وهي الفتاة اليتيمة الراعية التي تعيش في منزل أبيها وزوجته، تتعرض شهلا للظلم و يزيد الأمر سوءاً ماكانت عليه من صفات شكلية غير مرغوبة جعلتها تيئس من الزواج، يضعها القدر أمام ديب وهو مسافر في مهمة إلى إحدى ضياع كاسر فتغويه ثم يحبها ويقرر أن يتزوجها، ويعدها بالرجوع إليها بعد إتمام مهمته، تمضي الأيام في انتظار شهلا لديب بعد أن أصبحت حاملاً، ثم تلد طفلتها ريحانة في أحد الكهوف، وتتخلى عنها ليأخذها زوجان عجوزان ويقومان بتربيتها، يعود ديب بعد مدة ليجد شهلا على حافة الموت فيتزوج بها رغم سخرية الجميع واستهجانهم وتنجب منه ولدها إبراهيم، يرسل كاسر في طلب ديب حين تتدهور صحته، فيتذكر وعد كاسر القديم بأن يهبه خمس ضياع، فيخطف ابنته

ويهرب مع شهلا عائداً إلى قرية شهد العسل، تنجب شهلا ولدها الثالث كريم، يموت كاسر وُيفاجَأ الجميع بوصيته التي ذهبت أملاكه بموجبها إلى الحوت وإلى الزوجة الأجنبية، ولايرث ديب عنه إلا النبوءة التي تقول بأن ديب سيمتلك أرضاً يتضح فيما بعد أنها تعود لمالك إقطاعي يدعى طلال عدرة، ويخرج ديب وشهلا ليبحثا من جديد عن مكان يقيمان فيه فيعملان عند طلال عدرة، تلزم الثورة فيما بعد الإقطاعيين بإعادة الأراضي إلى الفلاحين الذين يعملون فيها، ويستميت إبراهيم الابن من أجل الحصول على أرض طلال عدرة أو أرض النبوءة مستفيداً من سيرة جده كاسر والدروس التي تعلمها منه، ويقدم خدماته للثورة من أجل الحصول على الأرض، وينجح في ذلك لكن بعد قتل مالكها وإصابته إصابة بليغة، ينتهي به الأمر إلى مقاطعة الناس له بتحريض من الشيوخ الذين كان ينبذهم ويسخر منهم.

تجليات الراوي العالم:

سبقت الإشارة إلى أن الكتابة عبر وجهة النظر كانت طريقة ابُتدعت من أجل التخلص من هيمنة الراوي العالم وهي التقنية التي ارتبطت بالرواية التقليدية، حيث يكون استعمال الراوي العالم دليلاً على تشبث الروائي باللّاموقع وهذا بدوره يدل على رغبته في التحكم المباشر بعالم الرواية سواء أكان تحكمه شاملاً أم محدوداً[1]، فهل كانت هذه الرواية موضوع البحث رواية تقليدية بهذا المعنى ؟ وهل كان ظهور أصوات مغايرة لصوت الراوي مجالاً لتعدد وجهات النظر؟

[1] انظر: سمر روحي الفيصل، 2012، بناء الرواية - دراسة بنيوية شكلية، دائرة الثقافة والإعلام، ط1،الشارقة، ص52-53.

إن القارئ المتأمل لتقنيات هذه الرواية يلاحظ أنها تقوم على أساس واضح هو الراوي العالم الذي يشكل العمود الفقري للسرد، وهذا الراوي هو ذات غير مشاركة في السرد، يروي بوساطة الضمير الغائب، ويتميز بعلمه غير المحدود، فما هي الخطوط الرئيسة لتجليات الراوي العالم في بناء هذه الرواية؟

1- أولى هذه التجليات كانت في تدخّل الراوي العالم لمحاكمة شخصياته وتقويم وعيها، فهو عندما يتحدث عن شهلا التي تتجول مساء في زواريب القرية يقول: (عرفتْ شهلا الوجه الساتر الشهواني وحين شمّت رائحة الكوخ الجديدة قالت: إنها رائحة ليل عين الدلب، ولو كانت تحسن اختيار الكلمة المناسبة لقالت إنها رائحة الرجل والمرأة، إنها رائحة الجنس، رائحة الحياة، رائحتها هي والعابر)[1]. إن الراوي فقط _ وفقاً لما واضح _ هو الأقدر على اختيار الكلمة المناسبة، وهوالأقدر على توصيف الحالة التي يعرضها السرد، لكن لماذا لم يتح للشخصية أن تعّبر وفقاً لما يريد علماً أنه مطلق الحرية في الرواية؟ هنا تتحكم وجهة النظر الإيديولوجية للشخصية بمنطق السرد حيث لا يستطيع الراوي أن يعطي الشخصية وعياً تقويمياً يفوق وعيها باعترافه.

2- تدخل الراوي للتعليق على الحدث وتوضيح خفاياه وكشفها للقارئ، حين لاتقوم الشخصية بذلك، وهذا أيضاً مانلاحظه حين يناقش تصرف شهلا التي وقفت خلسة لتراقب ابنتها الصغيرة التي تخلت عنها فالتقطها عجوزان في القرية وقاما بتربيتها، ويسيطر عليها الخوف من رؤية أحد لها، فيحاكم الراوي موقفها على النحو الآتي: (ولكي تتفادى شهلا الخوف الأول كانت تتأكد أولاً من خلو الزاروب من العابرين، وتهرب حين تلتقط أذناها حركة أو همهمة أو سعالاً بعيداً، ولو كانت أكثر وعياً لواقعها لما سكنها هاجس الخوف الأول، فمن يهتم

[1] فائزة الداوود، جنة عدم، ص130.

لأمر راعية لم تر عين الدلب في ضوء شمس عدا عن أنها لم تكن حلماً لشاب ولم تدر أحاديث عشقها في الحقول والكروم والزواريب... إنها منسية تماماً)[1]. ويبرر الراوي للقارئ مرة أخرى مواقف الشخصية بما يكتنفها من قلة الوعي، وهو في الحين نفسه يبرهن للقارئ بأنه صاحب الوعي الأكمل حين يبرز له خفايا الأمور ويسلط الضوء على الحدث من وجهة نظره، ومن الملفت أنه في كل مرة يحاكم فيها مواقف الشخصية لايترك للقارئ حرية محاكمتها، فيقيده بأحكامه، ويحمله على الركون إليها.

3- إن هذا الراوي من ناحية أخرى يجيد فهم دوافع الشخصية وتحليلها بما يتناقض أحياناً مع أفعالها وأهدافها الظاهرة، فشهلا عندما لازمت الكهف في محاولة منها لاستجرار الموت زهداً في الحياة ويأساً من عودة ديب إليها، راح الراوي يرصد لنا حركاتها العفوية التي كانت تستبطن مقاومة الموت والتمسك بالحياة: (ذبل جسد شهلا وشحب لون وجهها، وصار الموت عندها رجلاً هلامياً سيتسلل من بين حجارة الكهف ويقبض على روحها، لماذا تأخر ولم التأجيل؟ لأن شهلا كانت تدافع عن بقائها كما يدافع أي كائن حي عن حياته).[2]

4- تدخّل الراوي لتأطير الفضاء وفق وجهة نظره، ونقصد بالفضاء هنا مجموعة الأمكنة التي يتم تصويرها مصحوباً بالحركة التي تجري فيها،[3] إن الراوي يقدم الفضاء الذي يجري فيه الحدث بمكانه وزمانه وشخوصه ضمن نظرة محددة للعالم تشفّ بدورها عن وجهة نظر المؤلف، يستغل الراوي فرصة مرور شهلا في زواريب قريتها ليلا وفق مارأينا في المثال السابق للتعليق على الحدث، لكنه لا يكتفي بذلك بل يقدم لنا تأطيراً لهذا

[1] فائزة الداود، جنة عدم، ص172.
[2] فائزة الداود، جنة عدم، ص170.
[3] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط3، 2000.، ص63.

الفضاء ليلاً فيقول: (عرفت شهلا ليل عين الدلب لكنها لم تعرف نهارها، لم تعرف نبرة أصوات الرجال الجافة الغليظة، ولم ترتعش لسبابهم وشتائمهم، لم تسمع النساء يشتكين من الرجال الخائنين ويتأففن من الأولاد الجاحدين)[1] . ومن الواضح للقارئ أن هذه الأشياء التي لا علم للشخصية بها تندرج ضمن علمه المحيط بكل شيء، يبسطها أمامنا لنكّون الصورة التي أرادنا أن نكوّنها عن هذا الفضاء.

5- توظيف تقنيتي الاسترجاع والاستشراف الزمنيتين بما يعّزز سلطة الراوي العالم عبر معرفته لما مضى من زمان الرواية أو ما سوف يأتي منه، فبعيداً عن تلك الاسترجاعات التي تنطلق من وعي شخصية ما، ظهرت الاسترجاعات الخاصة بالراوي التي لاتحتويها ذاكرة أي من الشخصيات، ومهمتها ترميم بعض الثغرات التي تجاوزها السرد ثم عاد في زمن متأخر ليشبع فضول القارئ حيالها ويجيب على تساؤلاته المشروعة . فشخصية عزيزة المرأة التي ساعدت شهلا في ولادتها ثم قررت أن تسافر إل قرية ديب لتطلب منه الرجوع إلى شهلا، لا نعرف ماهو مصيرها إلا في لحظة سردية متأخرة إذ يشير الراوي عبر تقنية الاسترجاع إلى تعثّرها وسقوطها هي وبغلتها في الوادي قبل أن تكمل رحلتها.[2]

كذلك لجأ الراوي إلى الاستشراف الذي كان يكشف أحداثا ستحصل في أجزاء لاحقة من السرد مثل: (ابتعد ديب عن البستان وعاد إلى النهر ولم يدر في خاطره أن هذا البستان والحقول الخضراء المحيطة به ستكون يوماً فضاء لصراع يستنزفه حتى الموت)[3]. ولا يخفى مالهذا الاستشراف من أثر تشويقي واضح على القارئ.

6- وضع روايات افتراضية بديلة عن الحدث تدعم بدورها علم الراوي غير المحدود بعالم الشخصية وردود أفعالها ليس فقط تجاه مايحدث بل تجاه مايمكن له أن يحدث أيضاً،

[1] فائزة الداود، جنة عدم، ص130.
[2] انظر : فائزة الداود، جنة عدم، ص 145.
[3] المصدر السابق، ص96.

يتحدث الراوي عن سارق زاد ديب المختفي عنه قائلاً بصورة افتراضية على لسان ديب: (لو رآه يرمح أمامه لقال لخديجة: الغرباء يأتون من حيث لانتوقع ذلك الغريب سرق زادي ورمى جرابي بعد أن أفرغه من آخر قطرة ماء).[1]

7- تدخّل الراوي في الحوار من خلال الوسائل الآتية:

تسريد الحوار: لجأ الراوي إلى تسريد حوار الشخصيات في مساحات كبيرة من الرواية مماجعل حوار الشخصيات يمر عبر وجهة نظر الراوي، فيفقد بذلك شيئاً من خصائصه، ونرى هذا النهج في مواضع عدة من الرواية، نذكر منها تسريد الحوار الذي دار بين الجنرال والحوت وكاسر حيث اختصره الراوي بطريقته محتفظاً بمضمونه، أما العبارة الوحيدة التي اختار الراوي أن يبقيها كما هي لدلالاتها المهمة فهي مااختتم به الجنرال حديثه مع كاسر قائلاً: (لكي تنتصر أنت بحاجة لصديق قوي وأنا سأكون هذا الصديق)[2]. وقد أدى الحوار غير المباشر دوراً مشابهاً حيث أبقى خطاب الشخصية ضمن قالب خطاب الراوي، وأخفى بالتالي الملامح الأسلوبية المميزة لخطابها ومثال ذلك قوله عن خديجة في حوارها مع كاسر الذي تزوج عليها: (وعادت تذكره بأنها زكاة وبأنها سيدة والسيدة لاتُهان بضرة، ولاتحمل الطعام لقاطع طريق وخادمة).[3]

اللجوء إلى الحوار غير المباشر الحر لتقديم الحوار الداخلي كثيراً من الأحيان، حيث (يضطلع السارد بخطاب الشخصية بل تتكلم الشخصية بصوت السارد فيلتبس المقامان)[4]، ولو أراد الراوي أن يقدم الحوار الداخلي بصيغته الأساسية المباشرة لفعل، لكنه قصد أن يضفي بصمته على الحوار الداخلي للشخصية ويتدخل في صوغه، وتتميز

[1] المصدر السابق، ص92-93.
[2] فائزة الداود، جنة عدم، ص73.
[3] المصدر السابق، ص62.
[4] جيرار جينيت، خطاب الحكاية- بحث في المنهج_ مرجع مذكور، ص189.

هذه الطريقة في الخطاب بأنها تبقي على الضمير العائد إلى الراوي وهو ضمير الغائب بالإضافة إلى آثار الكلام الشفهي، ممايجعله يجمع بين الأسلوب المباشر الدال على حوار الشخصية والأسلوب غير المباشر الدال على كلام الشخصية المنقول بوساطة الراوي[1]، وسنعود إلى الحديث عن هذا الأمر بصورة أوضح لاحقاً عند حديثنا عن الأصوات في الرواية.

التعليق على الحوار: يحرص الراوي بصورة جلية على التدخل غالباً بوجهة نظره أثناء الحوار ليستقبله القارئ مصحوباً بالتأويل الخاص بالراوي، وهذا مانلاحظه في هذا المثال في الحوار الدائر بين المحصلدار وأحد فلاحي كاسر: (اقترب منه أحد رجال المحصلدار ولكزه بعقب بندقيته وسأله – نسأل من؟

– البطل كاسر. { ورغم أن الاسم يذكرهم بالجثث المرمية على طريق وادي السماق وطريق وادي الصفصلف–الموت– فإن العقل العصملي بدا عاجزا عن تغيير سياسته}*: ليقتل من يشاء لكن حصة الباب العالي –الجزية– يجب أن تُجمع).[2]

اختصار حوار مجموعة من الشخصيات إلى صوت واحد هو من وجهة نظر الراوي يختصر المجموع ويعبّر عنهم، وقد تجلى ذلك في الرواية عندما كان الحديث يدور حول الفلاحين الذين بدوا في الرواية طبقة واحدة متماثلة في السمات، يتحدث الراوي عن الفلاحين الذين توافدوا إلى بيت يحيى العموري والد خديجة قائلاً: (صار بيت الشيخ يحيى العموري قبلة للملاكين: ياشيخنا هلا توسطت لنا عند صهرك وأقنعته بأن يريحنا من أراضينا وبيادرنا؟)[3]. ويحضر صوت هؤلاء الفلاحين دائماً بهذه الطريقة التي ليس

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهارللنشر، لبنان، ط1، 2002، ص90.
[2] فائزة الداود، ص45.
* الكلام الموضوع ضمن الشكلين{ } هو تعليق الراوي.
[3] المصدر السابق، ص44.

فيها تحديد لشخص بعينه نقرأ في موضع آخر: (... ومن بقي بدا كمن يهذي وهو يقول: لقد تنازلنا حتى عن نسائنا وهاهم أفراد الجندرما يرحلون ومعهم المحصلدار وأفراد الجندرما والملثمون.. لو نموت ونستريح)[1]. وهذه الطبقة التي هي بنظر الراوي نسيج واحد لاحاجة إلى التمييز بين أفراده تؤدي دورها في الرواية في مقام آخر حين يحضر ذكر الشائعة بوصفها إحدى مصادر السرد: (أدهش النور المنبعث من القصر فلاحي شهد العسل، ودارت شائعة تقول: ثمّة نجم ينزل كل ليلة من السماء ويضيء قصر سيدنا ومولانا كاسر الشيخ).[2]ولأن هذا الصوت عليه أن يناسب نظرة الراوي إلى المجموع فقد أتى متسماً بسمات الخضوع والاستسلام والإمعان في الذل.

اختزال الحوار إلى جملة أو عبارة محورية تؤدي الغاية المطلوبة: ينتقي الراوي من الحوار مايريد خاصة عندما يتعلق الأمر بحوار كاسر أو حوار ديب مع الفلاحين، وقد ساعدت السمة التي سبق الحديث عنها على اختزال هذا الحوار، فكون الفلاحين طبقة موحدة في السمات والملامح وردود الأفعال جعل كل مايمكن أن يصدر عنها معروفاً مسبقاً وهو ماينضوي في حيز الإذعان والطاعة، وبالتالي فلا حاجة لفائض من الحوار الذي لايغير من الأمر شيئاً، كقول كاسر مخاطباً الفتيان بهذه الجملة التي لابد أنها اجتُزئت من حوار مفترض غير مذكور وغير مسرّد، فهي ليست بالتأكيد كل ما دار من حوار: (أريد عشرة فقط، عشرة مازال شعر وجوههم زغب ولم تخشن أصواتهم بعد).[3]

وجهة النظر في الرواية:

اتخذ هذا العمل الروائي من وجهة النظر الموضوعية طريقة في السرد وهي وجهة نظر الراوي الذي يروي بضمير الغائب أحداثاً ليس مشاركاً فيها، لكن الراوي في هذه

[1] المصدر السابق، ص46.
[2] المصدر السابق، ص55.
[3] فائزة الداود، جنة عدم، ص40.

الرواية وفق ما رأينا يملك المعرفة الكاملة التي تمنعه من التمركز في موقع محدد يظهر الزاوية التي ينظر منها، لأن (الراوي العالم بكل شيء يرى من كل الزوايا ، ووجهة نظره هي الوضع الشمولي العام < ... > ومن يرصد الأحداث دون أن يشارك فيها يصعب عليه تحديد وجهات النظر أو تبنيها لأنه غائب)[1]، هكذا كان تأثير حال الراوي على وجهة النظر من الناحية النفسية بعامة، لكننا نستطيع بالتوازي مع هذا الأمر أن نصف وجهة النظر في كثير من الحالات بأنها داخلية تستطيع الوصول إلى أعماق الشخصية وأفكارها وإلى ماضيها وحاضرها بل مستقبلها في معظم الحالات، وذلك بأن يتم الربط بين وجهة نظر الراوي ووجهة نظر إحدى الشخصيات، ويتبدل موقع الراوي من وجهة نظر إلى أخرى في السرد أو من وجهة نظر شخصية ما إلى وجهة نظره هو[2] دون أن يتغير الضمير، وهذا ما يسميه جيرالد برنس (التبئير المتغير) حيث تُعرض الوقائع والمواقف المختلفة من وجهات نظر مختلفة[3]، ونستطيع أن ندعم قولنا بهذا المثال الذي يتبنى فيه الراوي وجهة نظر إبراهيم ابن ديب الأكبر وهو يخبر أباه عن غرق أخيه كريم في النهر وهما يسبحان للّحاق بالمظاهرة التي كان إبراهيم سيترأسها، ثم ينتقل بعد ذلك ليتبنى وجهة نظر ديب فيما سمع، وهو في الحالتين ينطلق من وجهة نظر داخلية تكشف أفكار الشخصية، ثم يعود ليتحدث بوجهة نظر الراوي التي تبدو أوسع علماً: (وتعّمد إبراهيم الكذب حين ادعى أنهما سبحا معاً كما علمهما ديب، لكن التيار قذف بإبراهيم إلى الضفة وجرف كريم معه، وأضاف: لا أدري إن كان حياً أو ميتاً لكنني رأيته يسبح مع التيار. يهز ديب رأسه ويبكي بكاء مراً ويحمد الله على أن الثورة المجنونة اكتفت

[1] عبد الحميد المحادين، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط1، 1999، ص36-37.

[2] انظر: بوريس أوسبنسكي، شعرية التأليف- بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي، مرجع مذكور، ص100.

[3] انظر: جيرالد برنس، المصطلح السردي (معجم مصطلحات)، ترجمة عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة،2003، ص 116.

بواحد وكانت تستطيع قتل الاثنين. حمل ديب القنديل وعاد إلى النهر يبحث عن كريم، لم يكن بحثه عن كريم يختلف كثيراً عن بحث شهلا عن ريحانة..)[1].

ولانستطيع أن نتجاهل في هذا المقام مشهد اللقاء الأول لديب وشهلا الذي يحظى بتوظيف تقني خاص إذ يستأثر بسرد مركب يعتمد على ما يسمى (تغير مواقف المؤلف بالتعاقب)[2]، إذ يتمّ تجميع السرد من تعاقب وجهتي نظر على سرد الحدث الواحد وهو حدث لقاء ديب وشهلا الراعية لأول مرة، حيث كانت شهلا تسبح في البحيرة قرب بقراتها، وديب الذي أضاع زاده في الغابة يحاول اصطياد سمكة يسكت بها جوعه، تلمح شهلا ديب وتقرر إغواءه بعد أن تصطاد له السمكة طمعاً في أن تتغير حياتها البائسة نحو الأفضل. يكتسب هذا الحدث أهميته من كونه يلعب دوراً مصيرياً في حياة الشخصيتين الرئيستين: ديب وشهلا، ويغير في مجرى حياتيهما تغييراً جذرياً، فديب يتحول بعد لقائه شهلا إلى شخص آخر إذ يستسلم لإغواء امرأة للمرة الأولى في حياته ويتغافل للمرة الأولى أيضاً عن المهمة التي يرسله من أجلها سيده كاسر ويتعرض للمعاقبة بالسجن بسببها، أما شهلا فتكون حياتها حياة الفتاة الراعية التي تعيش مع أبيها وزوجته الظالمة وابنتها ولاتحلم بأن يطلبها أي شاب في القرية للزواج، وتضع الأقدار ديب أمامها فتقرر توريطه بها للتخلص من حياتها، ويشكل هذا الحدث على صعيد الزمن السردي نقطة العودة إلى السرد الراهن الذي أوقفه الراوي منذ الصفحة الأولى بعد أن وصف لنا ديب الواقف على قمة الجبل وقد أضاع زاده وألمّ به الجوع، وبدأ استرجاعاً خارجياً مداه[3] ثلاثة عقود يشغل ما يقارب تسعاً وثمانين صفحة، وهو مايشمل الفصل

[1] فائزة الداود، جنة عدم، ص287.

[2] انظر: المصدر السابق، ص 116.

[3] يطلق جيرار جينيت على كل من الاسترجاع والاستشراف مفارقة زمنية، وهذه المفارقة يمكن أن تذهب في الماضي (الاسترجاع) أو في المستقبل (الاستشراف) كثيراً أو قليلاً عن اللحظة الحاضرة أي اللحظة التي تتوقف فيها الحكاية لتخلي المكان للمفارقة الزمنية، ويسمي جينيت هذه المسافة الزمنية (مدى) المفارقة الزمنية. انظر: جيرار جينيت، خطاب الحكاية، مرجع مذكور، ص59.

الأول بأكمله من الرواية سرد لنا فيه الراوي حياة كاسر حتى اللحظة التي افتُتحت بها الرواية وهي اللحظة التي يكون قد أرسل فيها ديب في مهمة إلى ضيعة الشير، يعزّز هذا التوظيف مركزية الحدث الذي خصّه الراوي بروايتين الأولى يركّز فيها النظر على ديب والثانية على شهلا، يقلّص الراوي في النصف الأول من الفصل الثاني من تدخله إلى حد كبير دون أن يتنازل عنه إلا قي النصف الثاني منه، وقد استخدم غالباً لإظهار وجهة النظر الكلية له عبارات تؤذن بذلك مثل: (ومادار في خاطره أن)[1]أو(ولم يدر في خاطره)[2]، (نظر حوله فلم ير.. رجلاً) أو (لو رآه ... لقال)[3]، وتحول بعد ذلك إلى نقل الحدث من وجهة نظر ديب الداخلية عارضاً أفكاره بصورة تتجلى من خلال المونولوج أو الحوار الداخلي الذي يأخذ بدوره أشكالاً عدة، حيث يتدرج ما بين الخطاب غير المباشر الحر أو المباشر أو الخطاب المسرود... ولنلاحظ هذا التدّرج في هذا المثال: (وعلى مقربة من البحيرة سمع صوت قهقهة، عرف أنها ضحكة امرأة، امرأة في هذا المكان المقفر؟ لا ليست امرأة، إنها حورية، قدر أن تكون الضحكة لحورية حين تذكر حكاية الحوت عن الحوريات اللواتي يخرجن من ذلك الشيء المهيب "ويقصد البحر" كلما طاب لهن، حثّ خطاه فتعثر بحجرة اعتقد أن السمكة الحورية هي وراء تعثره وسقوطه، قفز إلى النهر فسمع صوت ارتطام، فظنها تركض وراءه، قطع سرير النهر وتسلق الانهدام الترابي فعاد صوت الارتطام أقوى مما كان، "إنها هي"!)[4]، وانحسار علم الراوي في كثير من الأحيان إلى ما يطابق علم الشخصية أو (الرؤية مع) _ وفقاً لمصطلح تودوروف الذي تحدثنا عنه سابقاً_ يبدو متوافقاً مع تقنية السرد المتعدد للحدث، مفيداً تشويق القارئ ورغبته في معرفة ماخفي عن ديب في هذا السرد الأقرب إلى المشهدية، فهذا السرد المتعدد تُستكمل فيه ثغرات الروايتين المختلفتين للحدث الواحد عندما نصل إلى رواية

[1] فائزة الداوود، جنة عدم، ص95.
[2] المصدر السابق، ص95.
[3] المصدر السابق، ص92.
[4] فائزة الداوود، جنة عدم، ص100.

شهلا المتزامنة مع رواية ديب التي نعلم من خلالها ماخفي عنه. وماتحدثنا عنه حول هذا الجزء ينطبق على الجزء الثاني الذي يتم التركيز فيه على وجهة نظر شهلا مع تدخلات قليلة للراوي العالم من مثل (ولو كانت قريبة منه لرأت عينيه الواسعتين..)[1]، لكن الملفت هنا أن الراوي يسعى أحياناً إلى الإيحاء للقارئ بوجهة نظر خارجية يظهر فيها بمظهر المراقب لسلوك الشخصية بعبارات مثل(بدا متأكداً من أن بندقيته أصابت الحورية..)[2]، أو (بدا واثقاً من خطواته الواسعة)[3]، فاستخدام الفعل(بدا) في هذا السياق يتناقض مع الموقع السابق للراوي العالم أو الراوي المساوي بعلمه لعلم لشخصية، لكنه يشير إلى ماكان يوحي به مظهره لمن يراقب من الخارج، إذاً هي وجهة نظر أخرى يتقنع بها الراوي تتسلل إلى المشهد وتساهم في تشكيله. إن هذا التنويع في وجهات النظر يدل على أن الراوي يغير موقعه باستمرار لنقل تفاصيل المشهد بأكثر من طريقة وينتقل من المعرفة الشاملة لكل شيء إلى المعرفة الداخلية المساوية لما تعلمه الشخصية إلى المعرفة الخارجية التي تتيح لمراقب خارجي متفحص أن يلمّ بها، وقد شدّ هذا التنويع فضول القارئ بحسب مايوفره من معلومات، وجعله متأرجحاً بين حدي التشويق والإشباع. أما استخدام وجهة النظر الخارجية بصورة شبه طاغية مع شخصية من الشخصيات الرئيسة في الرواية فلم يبرز إلا مع شخصية الحوت التي أخفى عنّا الراوي دواخلها وأفكارها طيلة ظهورها في السرد واكتفى بنقل حواراتها الخارجية وسلوكها الظاهر، ولولا تدخل الراوي العالم بوجهة نظره الكلية معلّقاً عليها بهذا القول: (ولو كان كاسر صياد سمك لعلم أنّ لقب الحوت أُطلق على حمد المصري بسبب جشعه ودهائه)[4] لبقيت شخصية الحوت محاطة بكثير من الغموض، لكنّ هذا التعليق بالإضافة إلى تصريح بعض الشخصيات برأيها أو موقفها تجاه شخصية الحوت جعلها مكشوفةً في طابعها

[1] المصدر السابق، ص102.
[2] المصدر السابق، ص100.
[3] المصدر السابق ، ص96.
[4] فائزة الداود، جنة عدم، ص81.

العام الشرير والاستغلالي، فخديجة مثلاً كانت تصفه بأنه الشيطان الذي لايكفّ عن إغواء كاسر[1]، وقد جعل ذلك كله القارئ في حالة من التشويق إلى اللحظة التي سينزع بها الحوت قناعه. ويؤكد هذا النهج في توظيف وجهة النظر الخارجية على أن مبدأ التشويق يشكّل دافعاً رئيساً إليها.

وجهة النظر من الناحية الإبديولوجية:

التسميات والألقاب:

إن من أهم الوسائل التي تبرز وجهة النظر الإيديولوجية هي التسميات والألقاب التي برزت في الرواية عاملاً مهماً في التعبير عن الموقف الإيديولوجي للراوي أو للشخصية، ونعني بوجهة النظر الإيديولوجية طريقة تقويم الشخصيات للعالم المحيط بها، بما يحيل إلى نظام الأفكار التي تشكل العمل، وبالتالي إلى البنية التأليفية العميقة له.[2] وقد كان لشخصية كاسر الحظ الأوفر من الألقاب التي تغيرت وتعددّت بحسب تغير الحالة الاجتماعية فهو كاسر(الفراري _الشيخ _البطل _ الثائر_أبو الهيجا_القائد)، وتتغير أيضاً بحسب الغاية المنشودة من الحوار، فقد تتبنى الشخصية المحاورة وجهة نظر الشخصية التي تحاورها للوصول إلى هدفها، فحين يتحدث الحوت مع كاسر عن المرأة التي أحضرها من بلاد الإفرنج على متن سفينته لكي يقنع كاسر بالزواج منها يستخدم أثناء حديثه لقبي: قائد و ثائر، وهذان اللقبان ينسجمان مع الغرض المراد من الحديث وهو خداع كاسر عبر إقناعه بالزواج من تلك المرأة، وهذا لايتم إلا من خلال إغرائه بما تعرضه وجهة نظر الشخص المحاور(الحوت) من تقويم إيجابي فحواه أن الشخصية الاستثنائية (القائد والثائر)[3] لا بد أن تحظى بامرأة استثنائية ذات قصة عجيبة تقول بأنها

[1] المصدر السابق، ص57.
[2] بوريس أوسبنسكي، شعرية التأليف- بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي- مرجع مذكور، ص19.
[3] فائزة الداود، جنة عدم، ص69.

حلمت مراراً بشخص من سلالة الأبطال هو كاسر الذي ستنجب له ولداً وتسميه الناصر. وحين كان كاسر يبعث رسائله إلى الفلاحين في الضياع التي وضع يده عليها كان يذّيل هذه الرسائل بقوله: (حاميكم كاسر)[1]، متوجهاً إليهم بما يحبونه ويحتاجون إليه وهو الحماية بما يعني تبنياً لوجهة نظر المخاطب[2]، فكاسر يعتقد اعتقاداً راسخاً أنه يمثل الحماية والخلاص لفلاحيه وهذا ما يعلنه الراوي صراحة في حديثه عن كاسر حيث نقرأ: (استحضر رأي فلاحيه به: إنه المخلّص الذي تحدثت عنه الكتب القديمة التي تقول إنه سيأتي في زمن الفقر والظلم رجل في وجهه نور الأولياء، وفي رأسه حكمة الأنبياء وفي قناعته زهد الحكماء، وهذا الرجل سيطرد الظالمين ويحول الأرض الجرداء إلى خضرة)[3]. وعندما كتب كاسر الوصية لورثته خصّ نفسه بلقب جديد فاجأ الجميع به كمفاجأتهم بوصيته الغريبة: (كاسر الشيخ الملقب بأبي الهيجا)[4]، ولم يأبه في هذه المرة بما يناسب الآخرين أو يحلو لهم فلا حاجة له بإرضائهم بعد الموت، أما عندما كان كاسر في طور الترويج لنفسه شخصاً ثائراً يهابه الجميع، يجمع المتطوعين من الفلاحين، يلاحق أفراد الجندرما، يقتل الرجال ويستولي على العتاد، فقد كان يرسم على ظهر كل قتيل (سيفين متقاطعين وبينهما عبارة : كاسر الفراري)[5]، وقد كانت هذه العبارة كفيلة بحمل الرعب إلى قلوب أعدائه، والأمان إلى قلوب الفلاحين.

أما عندما يكون الخطاب عفوياً بلا غايات توجهه فيمكن أن تظهر فيه وجهات نظر تعبر عن الموقف الحقيقي مهما كان فجاً من الشخصية المعنية بالكلام، يتجلى ذلك مثلاً من خلال قول الحوت مخاطباً كاسر حين جاء ليستبدل بليراته الذهبية العسل والخمر من

[1] المصدر السابق، ص77.
[2] تمت الاستفادة من بحث بعنوان: وجهة النظر على المستوى التعبيري من كتاب بوريس أوسبنسكي: شعرية التأليف، بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي (مرجع مذكور)، ص 29 إلى ص36.
[3] فائزة الداود، جنة عدم، ص51.
[4] فائزة الداود، جنة عدم، ص236.
[5] المصدر السابق، ص42.

ضياع كاسر: (أنت كاسر الفراري صاحب عسل وخمر)[1]. بل إن وجهة النظر تعبر عن الحد الأعلى من حالة الازدراء والاستهجان التي شعر بها جميع الحاضرين في مثل هذا القول بعد قراءة وصية كاسر: (قاتل نذور الشهداء تزوج من إفرنجية)[2]، وقد استُحضر اللقب هذه المرة على لسان الراوي معلناً الحقيقة العارية لكاسر ليكون معبراً عن لسان حال الجميع بوجهة نظر الراوي وتقويمه لماضي كاسر وحاضره اللذين يبدوان متناغمين في هذا القول من ناحية رفض المجتمع لهم، هذا الرفض الذي ظهر فجأة بعد أن غاب الرجل الطاغية. كذلك تحضر وجهة نظر الراوي في مواضع أخرى مثل تعليقه على حالة كاسر عندما أخبرته خديجة بأن سعدية المرأة التي زوجتها له خديجة من أجل الإنجاب ليست حاملاً كما ادّعت حيث يقول: (ينكمش الثائر على نفسه ويكاد لايصدق مايسمع)[3]، إن استحضار لقب الثائر هنا دوناً عن أي لقب آخر له دلالة تهكمية تعلن موقف الراوي غير الحيادي من الشخصية. وقد كان لشخصية ديب على نحو أقل نصيبها من تعدد الألقاب بحسب تعدد وجهات النظر التي تنظر إليه وتقوّمه، أما كاسر فقد خصّ ديب بمجموعة من الألقاب التي تدرّجت من الأسوأ إلى الأفضل بحسب رضا كاسر عنه، فعندما كان صغيراً نعته بابن زنا أو ابن الشيطان[4]، إلى أن حظي بثقة كاسر وإعجابه بعد ترويضه الثور الأبيض فيخاطبه قائلاً: (يالله تبدو رجلاً)[5]، ثم ينتزع ديب أخيراً أبوة كاسر الذي خاطبه قائلاً: (...سأعلنك ابناً أمام رجالي)[6]، أما اللقب الذي يرفع يرفع ديب مرتبة أخرى ليصبح في موقع المرشد والمعين الذي يستقوي به كاسر بعد مرضه فهو واضح في قوله مخاطباً خديجة: (أرسلي في طلب عكازي)[7]. ومن الجدير

[1] المصدر السابق، ص51..
[2] المصدر السابق، ص235.
[3] فائزة الداود، جنة عدم، ص64.
[4] المصدر السابق، ص193.
[5] المصدر السابق، ص194.
[6] المصدر السابق ، ص195.
[7] المصدر السابق، ص184.

بالذكر أن ديب كانت له أثناء وجوده في عين الدلب وبعد زواجه من شهلا عدة ألقاب عبرت عن وجهة نظر أهل القرية المعادية له والمتهكمة تجاهه في بداية الأمر فهو بنظرهم الرجل (المرة أو الغريب)[1] لأن ديب بنظرهم أذل الرجولة عندما ترك أهله وضيعته ولحق بامرأة، ويناضل ديب كثيراً ليحظى بمناداته باسمه (ديب)،[2] هذا الاسم الذي أصبح لقباً رفيعاً من وجهة نظره لأنه حين استعاده استعاد كرامته بوصفه رجلاً، وعندما صار يرتل القرآن ثم يعلم صبية القرية، لقبّه أهلها بالدرويش أو الكاتب ديب أو القارئ[3]، ويكتسب ديب بعد ولادة ابنه إبراهيم وتصاعد الموقف الإيجابي منه في القرية لقباً جديداً ينادى به هو لقب (أبو إبراهيم)، وبهذا يرتقي من لقب (المرة) الذي يسلبه كل معاني الرجولة إلى لقب (أبو إبراهيم) الذي يوصف في الرواية بأنه اللقب الذي أطلق العنان لطموحات ديب[4]، فبدأ يفكر بالقيام بأمور عظيمة من أجل القرية . إنها وجهة نظر المجموع أو العالم المحيط بالشخصية تسبغ عليها اللقب الذي يمليه الموقف من هذه الشخصية.

الأصوات في الرواية: لاريب أن ظهور الأصوات في أي عمل روائي يتأثر سلباً بهيمنة الراوي العالم فكلما (زادت سطوة الراوي انكمشت حدة الوعي الاجتماعي وتقلص دور الأصوات)[5]، ودراسة تعدد الأصوات في الرواية تتصل اتصالاً وثيقاً بدراسة وجهة النظر من الناحية الإيديولوجية، فإذا ظهرت وجهات النظر عبر أصوات إيديولوجية متساوية في الأساس يكون لدينا سرد بوليفوني متعدد الأصوات[6]. ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من هيمنة الراوي العالم فإن الرواية التي بين أيدينا قد أحدثت شيئاً من التميز في البناء

[1] انظر:المصدر السايق، ص178، 179.
[2] انظر:المصدر السابق، ص179.
[3] انظر: المصدر السابق، ص179.
[4] انظر: فائزة الداود، جنة عدم، ص180.
[5] محمد نجيب التلاوي، وجهة النظر في رواية الأصوات العربية، مرجع مذكور، ص99.
[6] انظر : بوريس أوسبنسكي ، شعرية التأليف ، بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي ، مرجع مذكور، ص20.

الإيديولوجي لبعض الأصوات الروائية محققة إلى حد ما شرط الأسلبة الذي عكس الوضعية الاجتماعية والإيديولوجية المميزة للمكان والزمان فضلاً عن اللاتجانس بين الأصوات الروائية[1]. واللاتجانس يكون بأن تبدو الشخصيات مختلفة في مواقعها الطبقية والاجتماعية والثقافية، لكن هذا اللاتجانس يجب أن يستتبعه تعدد لغوي وأسلبة للحوارات التي تدور على ألسنة الشخصيات أو تجري داخل وعيها بما يحقق لكل شخصية صوتها المميز والخاص، وسنتحدث هنا عن صوتين نسائيين في الروية: شهلا الفتاة الراعية المتمردة المحرومة من أي جاه أومكانة اجتماعية تُذكر، التي تقتنص فرصة لقائها بديب لتبدأ رحلة الصعود في حياتها بكل ماحملته لها من انتكاسات ومفاجآت، وخديجة زوجة كاسر الشيخ مالك الضياع الخمس عشرة المرأة الطيبة الجميلة الخانعة البعيدة كل البعد عن التمرد، وإذا كان (القول السردي يكتسب فنيته بديمقراطيته أي بانفتاح موقع الراوي على أصوات الشخصيات)[2]، فإن شخصية شهلا تكتسب فنيتها سردياً بصورة واضحة لاسيما حين نقرأ حواراتها الداخلية التي تفصح أيّما إفصاح عن وعيها بما هو انعكاس لحالتها الاجتماعية وظروف نشأتها وتطورات حياتها، إنها شخصية متماسكة الصوغ لأن حواراتها وردود أفعالها منسجمة مع مراحل حياتها وتطورات وعيها. فلنقرأ هذا المونولوج لشهلا وهي تستعد لنسيان حياتها كراعية والتأقلم مع فكرة أن تكون زوجة لديب وهو مالك الضياع: (قررتْ شهلا بعد استعراض قصص نساء البكوات أن تعامل الخدم والمرابعين معاملة تليق بهم كبشر، ستتناول معهم الطعام ولن تغطس وجه خادمتها بالحليب المغلي لأن ديب نظر إليها، ولن تسلك سلوك زوجة البيك أحمد عبد الجبار الشهواني، أعوذ بالله، إنها على استعداد لأن تعود إلى المرعى على أن تكون كتلك ال.....، يا للرجال المساكين، ألم يرق قلب تلك الفاجرة وهي ترى الأعضاء تتاضل لكسر ثمرة الجوز

[1] انظر : محمد نجيب التلاوي، وجهة النظر في رواية الأصوات العربية، مرجع مذكور، ص99.
[2] يمنى العيد، الراوي - الموقع والشكل (بحث في السرد الروائي)، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1986، ص11.

الخشبية <... > ولأن شهلا خصبة وأنجبت ولدين فلن تكلف زوجات الفلاحين والمرابعين الحوامل بأعمال يجهضن بسببها أجنتهن، لا، على العكس فقد تعفيهن من أي عمل يتعبهن)[1]. إن هذا النص المقتطع بحرفيته من نص الرواية والزاخر بأنماط تعبيرية متعددة من الحوار(الحوار غير المباشر: قررت شهلا أن/ والحوار المباشر الحر: أعوذ بالله/ والحوار غير المباشر الحر: لا، على العكس فقد تعفيهن...) يعكس أسلوب الراوي في نقل الحوار الداخلي للشخصية، فاللحظة الأكثر انفعالاً في الحوار هي التي تنقل بالأسلوب المباشر، والأقل انفعالاً تنقل بالأسلوب غير المباشر الحر، أما الحوار غير المباشر فهو يظهر في لحظة استقرار ذهني وهدوء انفعالي مؤقت، ويشير نص الحوار إلى مجموعة من الحكايات عن نساء البكوات مصدرها هو عرنة زوجة الأب التي لا بد أنها كانت تسمع هذه الحكايات من نساء الفلاحين مثيلاتها، و يبدو هنا الحاجز الطبقي القائم بين الطرفين، لكن هذا الحاجز ليس كل شيء، فهناك ماهو أهم وهو الحاجز الأخلاقي الواضح، إذ لاتتورع نساء البكوات عن أفعال ذميمة بسبب أخلاقهن السيئة، أما الطرف المقابل _ وفيه شهلا_ فيحاول أن يبدو مغايراً على نحو إيجابي من خلال تداول هذه الحكايات باستنكار واضح، و تقنعنا شهلا بأسبابها وحججها من خلال هذا المونولوج أو الحوار الداخلي الذاتي الذي شكل (حواراً دائرياً ترجيعياً ينطلق من الذات ويعود إليها مباشرة، فهو من هذه الناحية متكامل، مكتف بذاته، البطل فيه يتساءل ولاحاجة به إلى الجواب إلا أن يجيء ذلك من تلقاء نفسه ومن الداخل أيضاً)[2].

وتبدو خديجة زوجة كاسر صوتاً مميزاً في الرواية لكن يشوبه شيء من التناقض أحياناً، تختلف شخصية خديجة عن شخصية شهلا فهي امرأة جميلة علّمها والدها القراءة

[1] فائزة الداود، جنة عدم، ص197.
[2] فاتح عبد السلام، الحوار القصصي، تقنياته وعلاقاته السردية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999، ط1، ص111.

والكتابة وقرض الشعر وحكاية القصص وتلاوة القرآن[1]، وهي إلى جانب ذلك المرأة الطيبة الساذجة التي تشكل الخرافات والتقاليد البالية _ بحكم نشأتها_ جزءاً من وعيها، ولذلك فهي تؤمن مثلاً بأنها امرأة عقيم لأنها ولدت في الليلة البيضاء[2]. يتزوجها كاسر عندما يهبها له أبوها الشيخ يحيى العموري لأنها زكاة والزكاة لا تُرَد[3]، ويبدو هذا الأمر في الرواية مصدر اعتزاز لها، تحب زوجها وتتفانى في حبه وخدمته وتزوجه من سعدية لكي يحظى بولد منها، بل تبرر له خياناته المتكررة برغبته في الإنجاب، وحين تناقش مع كاسر أمر الفتاة التي ستختارها ضرّة لها تتحدث بطريقة تتناغم مع المعطيات الناظمة لشخصيتها المستمدة من البيئة الاجتماعية، يزيدها التطعيم باللهجة العامية واقعية، فهي تدين إحدى الفتيات بقولها: (فلانة بكمشة حنطة سلمت حالها للعثملي)[4]، وتثني على فتاة أخرى من خلال الإشادة بأبيها قائلةً: (علي سعيد آدمي، حتى أنه لم يدع المحصلدار يدخل إلى بيته ويرى زوجته وبناته مقابل شوال قمح، وغيره كان يعطي بنته للمحصلدار برطل قمح)[5]. ويرسم السرد صورة وافية لخديجة مختلطاً بحوار غير مباشر حر يحتفظ بشيء من آثار ملفوظ الشخصية عبر هذا المقتطف الذي يصف فرح خديجة بالطفل اللقيط ديب الذي جلبه إليها كاسر، ويصور سلوكها المنسجم ليس مع تعطشها إلى الأمومة فحسب، بل مع السياق الاجتماعي والطقس الديني والموروث الشعبي المتصل بالمعتقدات السائدة والخرافات المحلية المتناقلة : (غسلت خديجة جسد اللقيط بمغلي الريحان، بسملت وحوقلت وحمدت الله على تلك الهدية الثمينة، آه كم تعبتْ، وكم تضرعتْ إلى الله أن يحيي ذكر كاسر، زارتْ جميع المقامات، مشتْ إليها حافية، تسولتْ الخبز اليابس من الأكواخ لأجله وهي الغنية، لأجل أن ينجب من يحيي ذكره ويحمي

[1] انظر: فائزة الداود، جنة عدم، ص59-60.
[2] المصدر السابق، ص60.
[3] المصدر السابق، ص62-63.
[4] المصدر السابق، ص59.
[5] فائزة الداود، جنة عدم، ص59.

ضياعه ويصون سمعته، لكن... إن بذوره مباركة ولم يستطع رحم حملها[1]) . وتقول عن كاسر على مسمع ضرتها سعدية: (الرجل مثل العجل الرضيع يصول ويجول في البراري وعلى البيادر، وحين يجوع يعود إلى ضرع أمه)[2]، لكنها في موضع آخر تقول ما يناقض ذلك: (يظل الرجل ثوباً جديداً تتأنق به المرأة حتى يتعرف على أخرى عندها يصبح ثوباً بالياً والأفضل لها أن تتخلص منه كي لا يفضح عوراتها ويظهر عيوبها)[3]، ويتم الإفصاح في الرواية أن هذه العبارة لا تفارق خديجة أبداً[4] على الرغم من أنها لا تتناغم مع سلوك خديجة التي ظلت وفيةً لكاسر حتى آخر لحظة ضعيفةً أمامه. ونراها في موضع آخر تطلق حكمةً تبدو أكبر من مستواها الإدراكي تنصح بها ديب المطرود من قصر كاسر: (الإنسان خيال على الأرض، وخير له أن يرسم عليها أخيلة تمتّعه من أن يمضي حياته في رسم أخيلة لأحلام قد يمضي حياته كلها دون أن يمسك بطرفها)[5]. وحين نضيف إلى ذلك رأي كاسر في خديجة نتأكد من صحة ما ذهبنا إليه، فهو يقول عبر حوار داخلي مستبعداً فيه فكرة التخلي عنها حين راودته مرةً: (لا، خديجة بطيبتها وبساطتها وأحلامها المتواضعة ستظل زوجته رغم عجز رحمها عن حمل طفل يحمل اسمه ويحيي ذكره، من يدري قد تصبح ذات يوم قادرة، وإن لم تقدر، فلتكن خابية زيت يحتفظ بها لأيامه الأخيرة)[6]. هكذا عكست وجهة نظر كاسر الداخلية شخصية خديجة غيرَ متأثرةٍ بأي عاطفة تجاهها، بل مصرّةً على الاستفادة القصوى من صفاتها الموضوعية الحقيقية.

[1] المصدر السابق، ص27-28.
[2] المصدر السابق، ص183.
[3] المصدر السابق، ص63، وتكرر هذا القول في مواضع أخرى مع تغييرات لفظية طفيفة لم تنل من المضمون مثل ص183.
[4] المصدر السابق، ص 183.
[5] فائزة الداود ، جنة عدم، ص166.
[6] المصدر السابق، ص50.

كان من الجليّ أن الحوار – ولاسيما الداخلي – للشخصيات أدى دوراً رئيساً في بلورة الأصوات لما اتسم به من قدرة على النفاذ إلى دخيلة الشخصية، لكنه مع ذلك لم يكن مجالاً صرفاً لأفكار الشخصية بسبب هيمنة الراوي العالم الذي غالباً ماكان يمنع الشخصية من الاسترسال في التعبير عن أفكارها دون التدخل فيها، وهذا كان يحدث شرخاً في الحوار بين صوتين: صوت الراوي وصوت الشخصية، وكان ينحرف في أحيان أخرى بأسلوب الشخصية عن طابعه المناسب له فيؤدي إلى شيء من التنافر في رسم الشخصية.

ويصوغ الراوي في موضع آخر أفكار الشخصية بأسلوبه وطريقته عبر حوار غير مباشر، يتطور إلى حوار غير مباشر حر، يظهر بعده صوت الراوي واضحاً كما في المثال الآتي: (وقررت شهلا أن تفعل أي شيء لتستعيد حريتها المسلوبة، الحرية ولاشيء آخر، لكن ليس الحرية المنقوصة، لقد ضحت بريحانة وأكثر من أربع سنوات من الشقاء والكد والعبودية، والآن، الآن تريد الحرية والأرض، وبدون الأرض ستكون الحرية منقوصة، أصلاً الحرية بدون الأرض ستكون عبودية من نوع آخر، كانت حريتها في المرعى حرية كاملة، والآن وبعد ريحانة وسنوات من الشقاء والعبودية صارت عودتها إلى حرية المرعى عبودية، ولو كانت شهلا أكثر وعياً لقالت: العودة إلى المرعى بعد كل هذه الخسائر هزيمة، وهي ستمنع هذه الهزيمة)[1]. إن الراوي يقول ماتعجز عنه الشخصية فهو يخترق وعي الشخصية ليس لنقل وجهة نظرها فقط بل لنقل وجهة نظره أيضاً مصحوبة بتقويم إيجابي لأنها _ تصدر حسب قوله _ عن الأكثر وعياً، مما يحدث قطعاً في انسيابية المونولوج، بالإضافة إلى ما أحدثه تسريد الحوار من بعد عن أسلوب الشخصية، وانحياز إلى لغة الراوي في الأعم الأغلب، ولذلك فإن ما أفقر تميز الأصوات في الرواية هو هيمنة الراوي العالم وتدخلاته على حساب استقلالية الصوت بأسلوبه ووجهة نظره.

[1] فائزة الداود، جنة عدم، ص227.

ولابدّ أن هذا الأمر ليس سمة تسم هذه الرواية وحدها بل هي تسم قافلة من الروايات التي تستعمل تقنية الراوي العالم، وليس خافياً أن الرواية التقليدية قد استخدمت هذه التقنية بصورة كبيرة لكننا مع ذلك لا نستطيع أن نسمي هذه الرواية رواية تقليدية حسب تصنيف الباحث شكري عزيز الماضي في كتابه (أنماط الرواية العربية الجديدة)، فالرواية التقليدية وفقاً لهذا التصنيف: (تهتم بالوقائع أو الأحداث أكبر بكثير من الاهتمام بالشخصيات وقسماتها< ... > وينهض في الأغلب بمهمة السرد راو عليم بكل شيء وكثيراً مايتدخل أو يفسر أو يعلّق أو يخاطب القراء مباشرةً وتغدو الشخصيات وسيلةً لا غايةً فنيةً...)[1] وليست هذه الرواية من جهة أخرى رواية جديدة – وفقاً لتصنيف الباحث نفسه – تتميز برفض القوانين والقواعد وتقوم على تحطيم مبدأ الإيهام بالواقعية... بل إنّ تسمية الرواية الحديثة هي الأفضل لأنها ببساطة تسعى إلى الإيهام بالواقعية من خلال تمثلها الواقع المعيش في الفترة التي تتحدث عنها ومحاولة التعبير عنه فنياً[2]، ولعلّ في دراسة وجهة النظر في مستوياتها النفسية والتعبيرية والإيديولوجية ضمن المجال الذي أتيح لنا في هذا البحث مايثبت هذا الزعم، فقد سخّرت الرواية جلّ إمكاناتها الفنية لاسيما في تصوير الشخصيات، إن في عرض وجهات نظرها أوإضفاء الألقاب عليها أو في صوغ حواراتها، من أجل إعطاء صورة مشاكلة للواقع المعيش في حوادثه وشخصياته.

نتائج البحث:

يمسك الراوي العالم بخيوط السرد بقبضة محكمة، فيُخضع الشخوص لإرادته، ويبدو عارفاً بكل ما حدث وماسيحدث، وبكل خفايا الأمور، يتنقل بين الأحداث ليفصّل في ذكرها حيناً أو يختصرها حيناً آخر، ويسلّط أضواءه على الشخصيات عاكساً أفكارها

[1] شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، عالم المعرفة(355)، سبتمبر،2008 ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت. ص10.
[2] انظر: المرجع السابق، ص12- 13-14 .

وعالمها الداخلي ، مبدياً معرفته بقصور وعيها بعض الأحيان، أومكتفياً بالنظر إليها من الخارج سلوكاً وقولاً إذا كان يريد الاحتفاظ ببعض التشويق، وهو ينقل تركيزه على الشخصيات من واحدة إلى أخرى، ويظهر في ذلك كله كأنه قدر الرواية المحكم، فلا مشيئة للشخصيات خارج نطاق مشيئته، ولا حراك لها إلا بأمره ليصبح فضاء الرواية المعادل الموضوعي للفضاء الواقعي الذي تحيل إليه، و تستمد مرجعيتها منه، فضاء تمضي فيه الشخصيات عمرها مرتهنة للآخر، هكذا كانت خديجة في ارتهانها لكاسر، وكان ديب أيضاً وشهلا، وكل الفلاحين الذين أحكم سيطرته عليهم حتى موته، ولم ينج كاسر من قدر الارتهان لشخصية الحوت التي عرفت كيف تحكم السيطرة عليه بأن تقوده من رغباته وجشعه، حتى النبوءة التي قال بها كاسر وكانت حلماً لديب وشهلا دفعا من أجله الغالي والرخيص، فقد تحققت بطريقة فجائعية عبر وصوليّة ابنهما إبراهيم واستغلاله كل وسيلة أياً كانت من أجل ذلك، كذلك فإن كاسر لم يحظ بابن من صلبه، رغم كل محاولاته اللاهثة ليحظى به.

وإن وجهة النظر الداخلية التي استعملها الراوي للكشف عن عوالم شخصياته الرئيسة كانت غالباً تتسع وتبدو بلا حدود لأنها لاتريد أن تكتفي بحدود علم الشخصية بل بنظرة الراوي العالم وتأويلاته للمواقف والأحداث، وإذا استعان الراوي بوجهة النظر الخارجية فإن هذا كان يُسخَّر لأغراض محددة لا تتنافى مع توجهه العام السابق.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- الداود، فائزة: 2008- جنة عدم، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، دمشق.

المراجع:

1. أوسبنسكي، بوريس: 1999- شعرية التأليف - بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي - ترجمة سعيد الغانمي- ناصر حلاوة، المجلس الأعلى للثقافة.

2. بارت، رولان وآخرون: 1992- طرائق تحليل السرد الأدبي، ترجمة: الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط1، الرباط1.
3. تلاوي، محمد نجيب: 2000- وجهة النظر في رواية الأصوات العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
4. جينيت، جيرار: 2000- خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت- الدار البيضاء.
5. عبد السلام، فاتح: 1999- الحوار القصصي، تقنياته وعلاقاته السردية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت.

6. العيد، يمنى: 1986- الراوي - الموقع والشكل (بحث في السرد الروائي) ، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، بيروت.
7. الفيصل، سمر روحي: 2012- بناء الرواية، دراسة بنيوية شكلية، دائرة الثقافة والإعلام، ط1، الشارقة.
8. قاسم، سيزا: 1984- بناء الرواية - مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة .
9. لحمداني، حميد: 2000- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت- الدار البيضاء.

10.الماضي، شكري عزيز: 2008- أنماط الرواية العربية الجديدة، عالم المعرفة العدد355، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

11.نعيسة، جهاد عطا: 2001- في مشكلات السرد الروائي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

12.يقطين، سعيد:1989- تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء.